مختبر اللّهجات ومعالجة الكلام

جامعة وهران 1 أحمد بن بلّة
Université d'Oran 1 Ahmed Ben Bella

مجلّة الكلم

دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر اللّهجات ومعالجة الكلام

جامعة وهران1 أحمد بن بلّة – الجزائر

العدد: 05 جانفي: 2018

مديرة المجلة: أ.د سعاد بسناسي رئيس التّحرير: أ.د مكّي درّار

تجدون في هذا العدد:

* المكوّنات الصّوتيّة ودلالتها أبيات من ديوان (أبي مدين بن سهلة) أنموذجًا
أ.د سعاد بسناسي

* تعليميّة الأسلوب الإنشائي الطّلبي في مقرّر الثالثة من التعليم المتوسط مقاربة تداولية
أ.د رشيد حليم

* دلالة الصورة في الكتاب المدرسي بين الجاذبية والفاعلية السنة الأولى ابتدائي أنموذجا
د. حبيب بوزوادة

* ترجمة المفاهيم ذات الخصوصية الثقافية وإشكالاتها
الباحثة: عبد العالي جميلة

* تأثير الإعلام في تعليمية اللغة العربية عند الطفل
الباحث: كمال عمامرة

ISS : 2543-3822
الإيداع القانوني: مارس 2018

منشورات مختبر البحث: اللّهجات ومعالجة الكلام
LA BORATOIRE DE RECHERCHE : DIALECT ET TRAITMENT DE PAROLE

الكلم

مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر
اللّهجات ومعالجة الكلام
جامعة أحمد بن بلّة 1- وهران-الجزائر

العدد: 05/ 2018

مدير المجلّة: **أ.د. سعاد بسناسي**
رئيس التّحرير: **أ.د. مكي درار**

هيئة التّحرير:

د. هشام رحّال
د.فاطمة بن عدة
د.نورالدّين زرّادي
د.عبد الكريم حمو
د.الميلود منصوري
د.زهرة عابد
د. تازغت بلعيد

ISSN: 2543-3822
الإيداع القانوني: جانفي 2018

ISSN :.....

منشورات
مختبر اللهجات ومعالجة الكلام
جامعة وهران 1- أحمد بن بلة – الجزائر.

طباعة

.....
للطباعة والنشر

الكَلِمْ

مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر اللّهجات ومعالجة الكلام
جامعة وهران1 - أحمد بن بلّة - الجزائر

الهيئة العلميّة والاستشاريّة من داخل الوطن	أ.د.مكّي درّار	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
	أ.د.عبد الملك مرتاض	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
	أ.د.محمّد البشير بويجرة	جامعة وهران1/أحمد بن بلّة
	أ.د.خليفة صحراوي	جامعة باجي مختار/عنّابة
	أ.د.عمّار ساسي	جامعة سعد دحلب/البليدة
	أ.د.محمّد بوعمامة	جامعة الحاج لخضر/باتنة
	أ.د.صالح بلعيد	رئيس المجلس الأعلى للغة العربية
	أ.د.عبد القادر شرف	جامعة حسيبة بن بوعلي/الشلف
	د.رمضان حينوني	المركز الجامعيّ تمنراست
	د.آيت مختار حفيظة	جامعة آكلي محند الحاج/البويرة
	أ.د.عبد القادر فيدوح	جامعة البحرين
الهيئة العلميّة والاستشاريّة من خارج الوطن	أ.د أحمد حساني	جامعة الإمارات
	أ.د. خالد علي حسن الغزالي	جامعة صنعاء/اليمن
	أ.د.محمّد بن هادي علي الشّهري	المملكة العربيّة السّعوديّة
	أ.د.عبد الرّزاق مجدوب	الملكة المغربيّة/مرّاكش
	أ.د محمد علي سلامة	كلية الآداب جامعة حلوان/مصر
	د.محمّد بسناسي	جامعة ليون2/فرنسا
	د. سلوى عثمان أحمد محمّد	جامعة النيلين/السودان
	د.فدوى العذاري	جامعة سوسة/تونس
	د. مصطفى طاهر أحمد الحيادرة	جامعة اليرموك/الأردن
	د.رفيدة الحبش	جامعة كندا
	د. محمد راشد الندوي	الكلية الهندية العالمية.جدة/السعودية
	د. إبراهيم أحمد سلّام الشيخ عيد	جامعة غزة/فلسطين
	د. فرانسيسكو مسكسو	الجامعة المستقلّة مدريد/إسبانيا
	د.صلاح عبد القادر كزاره	جامعة حلب/سوريا

توجه المراسلات: majalatalkalim@gmail.com

الكَلِمْ

مجلّة دوريّة محكّمة تصدر عن مختبر اللّهجات ومعالجة الكلام
جامعة أحمد بن بلّة 1- وهران-الجزائر

العدد: 05/ 2018

قواعد النّشر:

ترحّب مجلّة (الكلم) التّي تصدر عن مخبر (**اللّهجات ومعالجة الكلام**) بنشر كلّ بحث علميّ، يهتمّ بالفصحى في علاقاتها التّكامليّة وصلاتها التّمايزيّة باللّهجات الجزائريّة والعربيّة والإفريقيّة والعالميّة الإنسانيّة، واستبطان مواطن التّأثّر والتّأثير وعلّة ذلك، وخلفيّاته السّوسيوثقافيّة، والسّوسيولسانيّة، والأنثربولوجيّة.

كما تهتمّ المجلّة بكلّ البحوث العلميّة المهتمّة بالتّراث والثّقافة الشّعبيّة، وصلتها باللّهجة في الموضوعات الآتية:

الأمثال الشّعبيّة والحكم، الأقوال المأثورة، الشّعر الشّعبيّ والملحون، الألغاز الشّعبيّة، البوقالات، التّعابير اللّهجيّة المتداولة في مختلف المناسبات الجزائريّة، تعابير النّساء في مجالات معيّنة، وتعابير الرّجال في حالات معيّنة، ومواطن تأثير المهن والوظائف والحرف على تعابير أصحابها، وتداول اللّهجة في المجال التّعليميّ والإعلاميّ ومواقع التّواصل الاجتماعيّ، وكذا في مختلف الفنون الأدبيّة والتّمثيليّة والمسرحيّة.

تنشر المجلّة وترحّب مجدّدا بكافّة الأساتذة والباحثين الرّاغبين في المشاركة ببحوثهم العلميّة في المجالات المذكورة سلفا، وتقبل النّشر وفق الشّروط الآتية:

- أن يتميّز البحث بالأصالة، والجدّة، والموضوعيّة.
- أن يراعى في البحث المنهجيّة العلميّة، وأن يلتزم صاحبه بالأمانة العلميّة.
- أن تكون إحالات البحث وهوامشه في نهاية البحث.
- لا تدع فراغا (Espace) قبل الفاصلة والنقطة، بل بعدهما، ولا تدع (Espace) بعد الواو.

- مع إرفاق البحث بملخّص بالعربيّة يُرسل البحث في شكل ملف (word) عبر البريد الإلكترونيّ للمجلّة: (**majalatalkalim@gmail.com**)، وآخر بإحدى اللّغتين الفرنسيّة أو الإنجليزيّة.
- تخضع المقالات جميعها للتّحكيم من قبل هيئة علميّة متخصّصة في سريّة تامّة.
- **البحوث المنشورة تعبّرعن آراء أصحابها، ولا تعبّرعن رأي المجلّة.**
- لا تردّ المقالات لأصحابها نشرت أم لم تنشر.
- يرفق الباحث مقاله بملخّص عن سيرته الذّاتيّة.
- للمجلّة حقّ التّصرّف في ما له علاقة بالمنهجيّة العلميّة للمقال.

محتويات العدد 05

افتتاحيّة		06
المكوّنات الصّوتيّة ودلالتها أبيات من ديوان (أبي مدين بن سهلة) أ.د سعاد بسناسي	جامعة وهران1 أحمد بن بلّة	8
تعليمية الأسلوب الإنشائي الطلبي في مقرر الثالثة من التعليم المتوسط مقاربة تداولية، أ.د رشيد حليم.	جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف	24
دلالة الصورة في الكتاب المدرسي بين الجاذبية والفاعلية -السنة الأولى ابتدائي أنموذجا-د.حبيب بوزوادة	جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر	36
ترجمة المفاهيم ذات الخصوصية الثقافية وإشكالاتها عبد العالي جميلة	جامعة وهران1 أحمد بن بلّة	53
تأثير الإعلام في تعليمية اللغة العربية عند الطفل الباحث: كمال عمامر ة	جامعة حسيبة بن بوعلي –شلف	63
المسكوكات التعبيرية اللغوية دراسة في الخطاب وفعل التأويل أ.أمين عبد الله محمد حسين اليزيدي	جامعة حضرموت	88
جهود محمَّد العَدناني في استدلاله بالحديث الشريف في مُعْجَمه الأغلاط اللُّغَويَّة المُعاصِرَة د.إبراهيم أحمد سلّام الشيخ عيد	جامعة الأقصى، غزة -فلسطين	135

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

نقدّم مجلّة (الكلم) إلى القرّاء الكرام، مستلهمين قوله تعالى: (إليه يَصْعَدُ الكَلمُ الطَّيّبُ) وكلّنا أمل، في أن يحظى هذا العدد برضى القرّاء، ويتلقّى توجيهاتهم وإرشاداتهم، وأن يلفت انتباههم إلى ما احتوت عليه موضوعات المجلّة من مقالات، في مختلف المستويات اللّسانيّة، والموضوعات الأدبيّة، والمجالات الاجتماعيّة.

وإنّ ما في هذا العدد من مقالات، انصبّ على إنجازها مختصّون، ودعمها محكّمون، وقد روعي فيها، أن تكون لها أبعاد فكريّة، وخلفيّات اجتماعيّة، وظلال إنسانيّة.

ومبتغى هذه الدّوريّة، نصف الحوليّة، . بعد صدور العدد الرّابع . في موضوع اللّهجة واللّهجات، أن تقيم العلاقة الوظيفيّة، بين أصالة التعبير الفصيح، والمنطوق اللّهجيّ النّظيف، وأن تصنّف الغريب والدّخيل، وأن تضع كلاّ منهما في موضعه، وتردّه إلى أصله وأصوله. وشعارنا في مجال اللّهجة، يسعى إلى تحقيق مستويين: أوّلهما تنقية اللّهجة، وثانيهما ترقيتها. وحول التّنقية والتّرقية، تتحرّك جميع موضوعات المجلّة.

وممّا نأمله من كلّ مشارك في هذه المجلّة، أن يجمع قواه ويحصر إنجازه في المستويين المذكورين. تنقية وترقية، مع تنويع في كيفيّات الإنجاز، كالوصف المفيد في مدخرات المجلّة، والتّحليل الموجّه إلى كيفيّات التّعامل مع اللّهجة، والتّعليل المدبّر في التّفكير اللّهجيّ.

وممّا لوحظ عن جذور التّعبير اللّهجيّ وأصوله في الجزائر، أنّه تتجاذبه مرجعيّات عديدة؛ أوّلها العربيّة، وهي الفاعل البالغ التّأثير في النّطق والأداء، صوتا ومفردات، وتراكيب، وأساليب. ثمّ الأمازيغيّة بكلّ أبعادها التّاريخيّة والاجتماعيّة، وتلويناتها الصّوتيّة، وإيحاءاتها اللّفظيّة. وعددها كثير. ثمّ اللّغة التّركيّة بمفرداتها؛ وتراكيبها في مثل: (بايلك، وقهواجيّ وخزناجيّ) والفرنسيّة بتوغّلها في طبقات المجتمع وتعابيره عن حاجاته. وهي كثيرة أيضا، مندسّة في المفردات والتّراكيب، في مثل: (مرسوات، وطاكسيّات وشامبرات) ثم

الإسبانيّة، وبعض الشّذرات من لغات عالميّة كالهنديّة، والباكستانيّة، والفارسيّة، والعبريّة، وغيرها، ويشيع هذا في أسماء الأعيان بخاصّة.

وباعتماد المسموع من اللّهجات، وملاحظة وظائفها وتوظيفها في مجالات الحياة، وبمحاولة التّصنيف حسب التّوظيف، والاكتمال في مجالات الاستعمال، نرسو على ما هو عمليّ، وظيفيّ، فاعل في مجالات الحياة، ثمّ منه تكون المنطلقات نحو الغايات.

هذه إلمامة بمجلّة (الكلم) منهجا، ومادّة، وموضوعا، ومسارا، ومعالم، وغايات، وأهدافا، وعلى المشاركين اعتمدنا في إنجاز الأعمال، وعلى الله توكلنا في كلّ حال.

هيئة تحرير المجلّة.

المسكوكات التعبيرية اللغوية دراسة في الخطاب وفعل التأويل
" نماذج مختارة" من لهجة صنعاء ومحيطها

أمين عبد الله محمد حسين اليزيدي
أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية – المهرة
جامعة حضرموت

الملخص:

للغة وظائفها المتعددة في خدمة الإنسان واستخلافه لعمارة الكون، فالإنسان يستخدم اللغة في مواقفه المختلفة ومناسباته المتعددة وخصوماته اللجوجة، بصفتها مواقف وحادثات تواصلية تتكرر، ويتطلب ذلك بناء قاموس يتناسب مع تلك التفاعلات الاتصالية والحوادث التواصلية لتؤدي وظيفة تواصلية وإبلاغية في الآن ذاته، ولمختلف التفاعلات الثنائية أو أمام الجماعة اللغوية مثل المنتديات القبلية والخصومات.

وقد ابتكر الإنسان لهذه الحوادث المتكررة عبارات أُبتكِرَت ضمن المؤسسة الاجتماعية واستُعمِلَت لتكون ممثلة لحياته في مسارين أساسيين- حسب تصور الباحث- هما: مسار الصراع وحل العقدة، ومسار التفاعلات اليومية والمناسباتية والطارئة. فهي عبارات مُنَظَّمة لِتَعامُل معينٍ في سياق معينٍ، وتكون مُنتَظَرَة من المجتمع في ذلكم السياق، ومن ثم فقد جعل المجتمع لكل سلوك يحتاج إلى ضبط حدوده والتزاماته تعبيرًا يدل عليه، يتلفظ به ذو المسئولية، ومن هنا فهي سلوكيات لغوية ثقافية.

وحرصًا من المجتمع على المجتمع نفسه أن لا تتشتت مفاهيمه الحقوقية فقد اتفق على ما يشبه القوانين العرفية المنظمة لحياة أفراده وجماعاته، وهذا هو الأهم في موضوع المسكوكات في مسار الصراع وحل العقدة لاتصالها بالفعل والالتزام؛ فهذه الكلمات لا تقال إلا عن درجة وعي كامل من الباث لقصديته، ودرجة وعي مناظرة لهذه القصدية وطريقة التعامل معها من المتلقي باعتبار الكلمة/ المسكوكة مفتاحًا/ رمزًا وعلامة... لسلوك غير عرضي بل هو سلوك مقصود.

الكلمات المفتاحية: المسكوكات، التعبيرية، اللغوية، الخطاب، التأويل.

:Summary

The language uses its various functions in the service of man and its use of the architecture of the universe. Man uses the language in its different positions, its multiple functions and its regressive adversaries, as repeated positions and events. This requires constructing a dictionary suitable for these communicative and communicative events to perform a communicative and communicative function at the same time. In front of the linguistic community such as tribal forums and discounts.

The man invented these repeated incidents invented words within the social institution and used to be representative of his life in two main tracks - according to the researcher - are: the course of conflict and resolve node, and the course of daily interactions, events and emergency. They are structured expressions of a given context and are expected from society in that context. Therefore, the society has made every behavior that needs to be construed as a responsible expression, hence linguistic and cultural behavior.

And the concern of society to the community itself that does not diverge the concepts of human rights has been agreed on what is similar to customary laws governing the life of its members and groups, and this is the most important issue of coins in the course of conflict and resolve the node of the connection and commitment already; these words can only say about the degree of awareness of the full of the story of his holiness , And the degree of awareness corresponding to this intent and how to deal with it from the recipient as the word / coin key / symbol and mark ... for non-accidental behavior, but is intentional behavior.

Keywords: coins, expressionism, language, discourse, interpretation

أهمية الدراسة:

ما زالت الدراسات العربية -حسب علم الباحث -غير مهتمة إلا بتحليل النصوص الأدبية النماذج أو النصوص النماذج، ولم يجد الباحث فيما اطلع عليه تحليلا للمحادثات كالمحادثات اليومية، ناهيك عن محادثات وسائل التواصل الحديثة من الفيس بوك وتوتير والواتس اب ونحوها، أو تلك التي تكون بين العشاق، أو محادثات المجرمين في السجون أو مع استجواب الشرطة لهم، فضلا عن المحادثات الخاصة بالشواذ. وذلك بسبب من الفصل المنهجي والفكري بين أنماط الكلام ضمن ثنائية الخاص/ العام، وبإغفال أن الكلام يشمل جميع التجليات الكلامية.ومن هذا المنطلق سيكون النظر في التجليات النصية المستخدمة ضمن المحادثة الاعتيادية في صورتها الطبيعية غير المصطنعة لأغراض التحليل، ومن ثم فسيكون من الممكن اتخاذ نصوص المحادثات البسيطة للتحليل عملا علميًّا.

منهج الدراسة:

تتسم المسكوكات من ناحية لغتها وبنيتها النصية بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى بأقل جهد وأقل تكلفة، وهذه من أساسيات علم الاتصال الحديث. وبأنها عبارات صيغت وتعارف عليها المجتمع في مواقف محددة لتؤدي وظيفة دلالية تداولية قد لا تخلو من الطقوسية، كما أن منها ما يتعلق بالحقوق والالتزامات، ومن ثم كان لها قوة عرفية قانونية. مما يجعل دراستها وفق المناهج المختلفة أمرًا ذا فائدة. ويمكن النظر إلى المسكوكات على أنها نماذج تحليلية للغة طبيعية مقننة تبقى قيمتها في ذاتها، أي في ذات النصوص بصرف النظر عن اللهجة المحلية التي وردت فيها قدر الإمكان، بمعنى أن تحليل نماذج من المسكوكات في أية لهجة قد يفيد ليكون نموذجًا للتحليل في لهجات أخرى لها مسكوكاتها الخاصة بها.واكتفى الباحث بملاحظاته للمجتمع المحلي ولم يقم بالاستقصاء فذلك يتطلب جهدًا مستقلًا به. وفي التحليل استفاد الباحث من تحليل الخطاب وعلم النص، ويستفيد البحث من المنهج التاريخي بقدر ما تسمح به مجريات الدراسة. ولذا فإن تحليلها سيتبع تحليل الخطاب وعلم النص من حيث هي مسكوكات لغوية تُستَخدَم في حدث تواصلي اتصالي، وهي ذات غرض ودلالة، ولها مقاماتها الاجتماعية المعروفة. وسأستخدم الكلمتين: مسكوكة / لازمة بنفس الدلالة في هذه الدراسة.

وقد وقع اختيار الدراسة على عدد من اللوازم اللفظية المستخدمة (في محافظة صنعاء)[1] في مواقف محددة بسياقات معروفة، وتتمتع بقوة تنفيذية، وتأويلها أقرب ما يكون إلى التأويل العرفي المتفق عليه. وتقدِّم الدراسة تصورًا نظريًّا لنشأة المسكوكات يستند إلى: وظيفة اللغة التفاعلية والتعاملية، وإلى مؤسسية اللغة وسلطتها، بالتركيز على أمرين: 1- التواصل وحاجة الإنسان إلى التعبير في حادثة اتصالية أو تواصلية معينة، ولأن تلك الحادثات الاتصالية أو التواصلية تتكرر فقد أنشأ لها المجتمع تعبيراتها الخاصة. 2- الأمر الثاني ما يتعلق بمسكوكات في مسار الصراع وحل العقدة، لأن اللغة التعاملية تؤدي وظيفة القانون وابرام العقود.

ولما تقدم فإن هذه الدراسة ستشتمل على: 1- تقديم صورة عامة عن المسكوكات. ويتضمن التعريف اللغوي والإجرائي، وأهميتها التعبيرية ثم عوامل تطور المسكوكات 2- تشكلها ونشأتها. ويتفرع عنها: التفريق بين نصوص المسكوكات وغيرها من النصوص، وتصنيفها من حيث المقامات والتعامل. 3- خطاب المسكوكات وفعل التأويل من خلال دراسة نماذج تطبيقية من مسكوكات الصراع وحل العقدة، وفقا للتأويل وفعل التأويل، ثم استنباط مجموعة من سمات المسكوكات التعبيرية سيما ذات التأثير الحقوقي.

الدراسات السابقة:

وجد الباحث عددًا من الدراسات التي تتحدث عن الأعراف وبعض مقولاتها ومنها: دراسة للدكتور رشاد العليمي تتعلق بالأثر القانوني والعرفي للأعراف الاجتماعية بعنوان: ((القضاء القبلي في المجتمع اليمني)) وهي رسالة ماجستير، وكتابا لمحمد يحي السدمي بعنوان: ((نظرية العقوبة في الشريعة والأعراف القبلية في أحكام القبائل اليمنية، ومفهوم النقى والعيب))[2] وكتابا آخر بعنوان: ((الزامل في الحرب والمناسبات)) لصالح بن أحمد بن ناصر الحارثي، جمع فيه المؤلف طائفة جيدة من الزوامل في مختلف المناسبات، وكتابا بعنوان: ((وثيقة القواعد المرجعية لكافة القبائل اليمنية" بكيلي، وحاشدي، ومذحجي، وقضاعي، وهميسعي")) لمحمد بن علي صياد وهو عن الأعراف القبلية المتعلقة بالصراع، ونظمها في منظومة بديعة. وكتابا بعنوان: ((سيرة الأوائل في شروع القبائل)) تأليف علي بن علي الخوم الجماعي. وهي جميعها كتب تتعلق بمفاهيم الصراع وإجراءاتها العرفية ومصطلحاتها نظرًا لأهمية الموضوع من الناحية القبلية فهذه الأعراف بمثابة القانون

تحتكم إليه القبائل ويعترف به القضاء اليمني في حال تراضى عليه أطراف الصراع. وقد كتب البردوني والمقالح عن الأدب الشعبي في اليمن ولم يشيرا إلى موضوع الدراسة.

أما في غرض الدراسة وأسلوبها ومنهجها فلم يقع في يدي دراسة سابقة.

نشوء المسكوكات (تصور نظري)

تمهيد:

تعريف المسكوكات:

التعريف في اللغة:

ورد في لسان العرب أن المسكوك هو " المُسَمَّر بمسامير الحديد فهو مُقَيّد (.....) وفي حديث عليّ -ﷺ- أنه خطب الناس على منبر الكوفة وهو غير مَسْكُوك، أي غير مُسمَّرٍ بمسامير الحديد. (....) والسِّكَّةُ حديدة قد كتب عليها، يُضْرَبُ عليها الدراهم، وهي المنقوشة. وفي الحديث عن النبي - ﷺ- أنه نهى عن كَسْرِ سِكَّةِ المسلمين الجائزة بينهم إلاَّ من بأس. أَراد بالسِّكَّة الدينارَ والدرهمَ المضروبين سمي كل واحد منهما سِكَّة لأَنه طبع بالحديدة المُعَلِّمة له. ويقال له السَّكُّ وكل مسمار عند العرب سَكٌّ"[3]..

التعريفالإجرائي: من ثم فمن التقييد، والتسمير، والسك، والضرب (النقش) استنبطت هذا المفهوم للمسكوكة؛ فهو نمطٌ محددٌ معروفٌ متداولٌ له قيمة. ويأتي اجتراح هذا المصطلح (المسكوكات اللغوية التعبيرية) ليكون دالا على: العبارات الاجتماعية التي يستخدمها أفراد المجتمع في مواقف حياتية متكررة أو قابلة للتكرر لتكون تلك العبارة بمثابة العَلَم على سلوكٍ تلفظي وسلوكٍ اجتماعي. وهي عمليات رمزية تجسد الخضوع والانتظام في السلك الاجتماعي وسلوكياته، أو استجابة لمتطلبات السلوك الاجتماعي.

أولا: نشوء المسكوكات (تصور نظري)

الاحتكام إلى اللغة والتلفظ في حياة العربي ليس غريبًا، إذ توجد صيغ مُعتَرف بها عرفًا وقانونًا وشرعًا قبل الإسلام وبعده، مثل: دخول الإسلام، وصيغ والبيع والشراء، والإيجاب والقبول في الزواج، وصيغ الطلاق والظهار المتعارف عليها، وكذلك صيغ الأيمان والنذور. ولعل هذا الاحتكام إلى السلطة اللغوية يندرج ضمن إبداع الإنسان في تعامله مع اللغة وبها، ويتساوق مع خصوصية العربي في حفظ مآثره بالشعر أو بالقول السائر، فقد اختصت الأمم الأخرى بالمباني واستفرغت طاقاتها فيها أو في علوم أخرى أو أعمال صناعية.

واختص العرب بالوصف الدقيق لمشاعرهم وبيئة التعامل مع اللغة واستفراغ طاقاتهم وخيالهم فيها، وكما أن الأمم الأخرى نقلت الصراع من الميادين المسلحة إلى مهارشة الديوك والكلاب، فإن العربي طاقته في بيانه ولسانه. ولعل المسكوكات المتعلقة بالصراع وحل العقدة أو بالحقوق توضح جانبًا من الصراع المحتكم إلى التلفظ، أما الصراع في ميدان الألفاظ فيمثله الحجاج والخصومات والشعر الهجائي والفخر ونحو ذلك. ومن ثم فقد كان نقل الصراع من الميادين إلى الحيوانات عند الأمم الأخرى يقابله عند العرب نقل الصراع من الميادين إلى اللغة والاحتجاج والجولات التلفظية البرهانية أو إلى جولات الفن والتعبير وأنه إذا لم يكن صراع حربي بين القبائل فهناك صراع فني أو أدبي.

ومن ذلك أن العربي كان يكفيه أن يقول لشخص ما أنه في جواره فيكون مُلزمًا بحمايته،. وحادثة إجارة المطعم بن جبير للنبي -ﷺ-حين عاد مكسور الخاطر من الطائف معروفة، وأيضًا قوله- ﷺ- لأم هانئ: قد أجرنا من أجرتِ[4]. بل وصل الأمر إلى أن تكون الحيوانات في جوار بعض الملوك من المتجبرين[5]. وهذا يدل دلالة واضحة على أن قانون العرب ألسنتهم وما تعارفت عليه أجيالهم.

وتختلف صيغ اللازمة اللفظية وقيمتها بحسب طبيعة المجتمعات(متمدنة، قبلية، تحمها دولة ذات سيادة...الخ) واختلافها من مجتمع إلى آخر مما يدل على أنها استجابة لحاجات تعبيرية أو مواقف اجتماعية أو بيئية[6] وهذا يدل على أن اللازمة اللفظية أو المسكوكات التعبيرية ليست تعبيرًا قالبياً جاهزًا مفرغًا من دلالته وتداوليته، بل هي تعبيرات ذات دلالة اجتماعية وفكرية وثقافية وبيئية، وإن كان حال التعامل مع بعضها اليوم أنها ليست سوى عادة لفظية تعبيرية فقط[7] ذلك أن التعبيرات حين تشتهر وتكثر حتى تتحول إلى ممارسة مفرغة من دلالاتها الأولى التي استدعتها فإنها تفقد بريقها الأسلوبي، وألقها الدلالي والاجتماعي، إلا من ناحية كونها تراثاً.

يستند هذا التصور إلى: وظيفة اللغة التفاعلية والتعاملية، وإلى مؤسسية اللغة وسلطتها، أي أن هذه التصور النظري لنشأة المسكوكات سيتم التركيز فيه على أمرين: 1- التواصل وحاجة الإنسان إلى التعبير في حادثة اتصالية أو تواصلية معينة ولأنها تتكرر تلك الحادثات الاتصالية أو التواصلية فقد أنشأ لها المجتمع تعبيراتها الخاصة. 2- الأمر الثاني ما يتعلق بمسكوكات الحقوق لأن اللغة التعاملية تؤدي وظيفة القانون وإبرام العقود. ولذا

حرصًا من المجتمع على المجتمع نفسه أن لا تتشتت مفاهيمه الحقوقية تم الاتفاق على ما يشبه القوانين العرفية المنظمة لحياتهم ولأن طبيعة التفاعل البشرية شفهية، والتعامل شفوي في الأصل، فإنه قد كانت –ومازالت- تلك التعاملات في أساسها شفوية وإن كُتِبَت فليس إلا لتثبيت المنطوق الشفوي للعودة إليه وقت الحاجة. وهذا هو الأهم في موضوع المسكوكات لاتصاله بالفعل والالتزام.

وفي هذا السياق الوظيفي للغة واستخدامها نجد أن المسكوكات ارتبطت بالتفاعلات اليومية(التحية، واللقاء بالآخر/ الآخرين) والمناسباتية(التهاني والتعازي) والتفاعلات الاجتماعية الخاصة (الضيافة، والمنتديات القبلية) والصراع والخصومات(التحكيم والعدال ونحوهما) فإن الإنسان يستخدم اللغة في مواقفه المختلفة ومناسباته المتعددة وخصوماته اللجوجة، بصفتها مواقف وحادثات تواصلية تتكرر، ويتطلب ذلك بناء قاموس يتناسب مع تلك التفاعلات والحوادث التواصلية لتؤدي وظيفة تواصلية وإبلاغية في الآن ذاته، وكثير من هذه التفاعلات يتم في سياق ثنائي حتى لوكان أمام الجماعة اللغوية مثل المنتديات القبلية والخصومات.ومن هنا يمكن التطرق إلى تصنيف المسكوكات.

ثانيا: تصنيف المسكوكات

يمكن تصنيف المسكوكات من خلال النظر في مواقفها التعاملية والتنفيذية في سياقاتها الشفوية " وإذا كان المكتوب يعبر عن شخصية الكاتب، أي الفرد، فإن الأدب الشفاهي يعبر عن شخصية الشعب(المجتمع) ويرصد وجدان الناس ويسجل اهتزازات الضمير الجمعي، ويساعد على الاستمرارية الحضارية بين الأجيال ويسهم في تثقيف النشء، ويسهل عليهم عمليات التكيف الاجتماعي والثقافي.."[8] ولمَّا كان التراث الثقافي يرتكز على " التواصل الشفاهي فإن استمرارية التواصل الشفهي قد أدى إلى الحفاظ على قسط مهم من الحضارات وضمان استمراريتها عبر عصور عديدة من جيل لآخر بفضل الذاكرة الجماعية[9]. واتسام هذا الموروث بالاستمرارية والتأثير يحتمان على الدارسين النظر في هذا الموروث من مختلف الجوانب، لا سيما نشأة فنونه وارتباطها بالتفكير الجمعي للجماعة اللغوية؛ ذلك " أن الموروث الشفاهي ((العرفي)) يُشَكِّل مكونًا مركزيًّا للذاكرة الأدبية ((المجتمعية)) وتشكيلا رمزيًّا فاعلا في نسقها الثقافي، وهو إلى ذلك مدونة ثرية من الصور

الإنسانية وتمثيلات العلائق والمواقف والأفكار"[10]. ولما كان كل اتصال يتضمن الافتراضات المشتركة التي يتأسس عليها[11] فإنه يمكن القول: إن المسلمات القيمية والإيمانية التي يؤمن بها أفراد المجتمع في تعامله مع المسكوكات تكاد تكون أقرب إلى اللغة الموضوعية من ناحية أن المرسل – الآن/ أثناء الاستخدام- ليس له من دور إلا الالتزام بالتلفظ بها ، أي إنه لم يخترعها ويتفنن في إبداعها، والمتلقي مذعنٌ لها - غالبًا - أو يُتَوقَّع ذلك منه.

ومن المهم أن ندرك أن كيفية تحرير النص لتوضيح رسالته وتكثيفها غالبًا ما تكون لها أهمية اجتماعية واقتصادية وسياسية؛ " ذلك لأن التراث المقول رغم بساطة تركيبه اللساني وإيجازه، يعتبر ثروة فكرية تفرز حكمة بالغة وتعبر عن مضمون إنساني عميق، كما أنه ذاكرة حية وجماعية للشعوب، تحمل في طياتها ما يشكل حكمة وموعظة تمثل خلاصة ممارسته الفعلية لمسئولياته الاجتماعية طبقًا للموروث"[12].

أ- تصنيف المسكوكات من حيث لغتها والنصوص التعبيرية الأخرى:

تتمايز المسكوكات التعبيرية من الأدب الشعبي في أنها لا ترتبط بحكاية ولا تندرج ضمن أي جنس من أجناس الأدب كالأمثال والسرد أو الشعر، و يمكن الاعتداد بالمسكوكات التعبيرية على أنها ذات صفة رمزية وأنها تمثل علامة/ علامات ثقافية وفاعلية اجتماعية؛ فهي لغة تواصل خاصة بسياقاتها وتأويلاتها المتعارف عليها؛ وهي لغة اجتماعية تعبيرية، وإن لم تكن أدبية، إذ إنها تمتلك صفة التأويل والإبلاغ[13]. وهي تنقل موقف الشخص / الأشخاص من قضية من القضايا أو من المقام المعروض القائم. ومن ثم فإنه يمكن معاملة هذه الصيغ/ المسكوكات رموزًا باعتبارها تستخدم من قبل الجماعة اللغوية للتواصل فيما بينها. وهي تجمع بصيغتها وموقفها بين المعرفة؛ كونها تلفُّظٌ من واعٍ مُدْرِكٍ يتحمل المسؤولية، لاسيما في المسكوكات الحقوقية ومسكوكات الصراع وحل العقدة، وبين الانطباع كونها شعور بالمتعة أو الألم أو الانصياع للعرف. (في التهاني، والتعازي، والحقوق، على التوالي).

ويمكن التفريق بين المسكوكات وبين بقية النصوص في اتجاهين؛ الأول يفرق بينها وبين النصوص عامة، والثاني يفرق بينها وبين الأمثال نظرًا لاتشاحها ببعض سمات الأمثال:

1- **الفرق بين المسكوكات والنصوص عامة**:

– أن النص غير مقيد بلازمة لفظية أو موقف وإن كان إطارًا تعبيريًّا؛ فالمقدمة الطللية –على سبيل المثال - إطار للتعبير لكن صورة التعبير غير مقيدة، أما اللازمة اللفظية فتكون

مقيدة لفظًا وموقفًا ودلالة، إن قيلت وفقًا لموقفها، وما لم يرد المتكلم منها التهكم أو السخرية أو غير ذلك، وكونها لازمة لفظية فإنها متوقعة اجتماعيًّا في ذلك الموقف بلفظها المعروف.

- كما أن النصوص/ الرسائل اللغوية تبدأ من المرسل، أما المسكوكات فإنها تبدأ من المخزون الفكري والثقافي المرتبط بتداوليتها والعرف الاجتماعي للتعامل بها.

2- **المسكوكات والأمثال**:

- الأمثال وإن كانت تُنقَل كما هي إلا أنها ليست لازمة لفظية.
- الأمثال لا ترتبط دائمًا بالطقوسية وإن ارتبطت بالمواقف التمثيلية، أما المسكوكات فلا ترتبط بالمواقف التمثيلية بل بالمواقف الطقوسية أو التنفيذية والحقوقية.
- الأمثال تؤدي رسالة تحمل خطابًا ما إلا أنها لا تفضي إلى فعل لغويٍّ واجتماعيٍّ يتبع التلفظ بالمثل كما هو الحال في الصيغ ذات المسار الحقوقي.
- الأمثال تُعَدُّ نوعًا من التشبيه والتمثيل، وليست كذلك هذه الصيغ؛ فهي وإن كانت مرتبطة بالمواقف والمناسبات فإنها لا تتسم في دلالاتها بأي ارتباط بالعلاقات التشبيهية.

ومن هنا فيمكن الاعتداد بنصوص المسكوكات بصفتها بنية لغوية تعبيرية لها خصائصها وسماتها شأنها شأن أنواع النصوص التعبيرية الأخرى.

ب- تصنيف نصوص المسكوكات ((مقاميًّا/ تعامليًّا))

بتتبع نصوص المسكوكات ومقاماتها وما تؤول إليه فإنه يمكن النظر إلى نشأة المسكوكات في مسارين أساسيين يمثلان تصنيفًا للمسكوكات: الأول حكاية الصراع وحل العقدة. والثاني: حكاية الحياة وحركتها، والموت وصدمته. وكثير من المسكوكات، لا سيما المناسباتية، غير معللة أو لا يمكن تفسيرها في ضوء بعدها الديني[14] أو الاجتماعي، مثل مناسبات: العيد، والعرس... والولادة...وغيرها، وما يناسبها من الدعاء والأقوال. وهي عمليات تجسد علاقات طبيعية ولكنها غير مُلْزِمَة إلا من حيث كونها سلوكًا اجتماعيًّا أو دينيًّا، فلستُ مُلزَمًا بفعل الطبيعة أن أصافح في موقفٍ ما، أو أن أتلفظ بالمسكوكة المتعارف عليها في ذلك الموقف، إنها ليست فعلًا غريزيًّا كالجوع أو العطش، ولكنها سلوك مُلْزِم اجتماعيًّا ومن ثم فهو ضمن العلاقات الثقافية والتفاعلات الاجتماعية والاحتجاجية.

وقد وسمتها بأنها حكاية لأن هذه الصيغ لا يمكن أن تظهر فجاءة بدون مقدمات أو أن تخترع وتنتشر دون وعي ولا نعلم بداياتها ونشأتها، ولكننا نجد نتائج تلك الحكاية المتمثلة في الصيغ ومدلولاتها ومقاماتها. وفيما يلي عرض لذلك.

1- **المسار الأول حكاية الصراع وحل العقدة**:

يعمل الإنسان جاهدًا للتعايش مع دورات الصراع والأزمات، موظِّفًا إياها في خدمته و ثقافته وتثبيت دعائمه. ودورات الصراع حتمية ومستمرة ولا يمكن تحاشيها، ومن ثم فقد أثمر تعامل الإنسان معها وبها إلى إنتاج صيغ لفظية، هي أشبه بالقوانين والصيغ الرسمية، لتمثيل مظاهر الصراع ولتسهيل التعامل معه، لاسيما بعد أن نقل الصراع من ميدان الفعل المادي باستخدام السلاح، إلى ميدان الفعل اللغوي باستخدام صيغ لغوية متعارف عليها، ومن المسكوكات التي تمثل تعامل الإنسان في المجتمع المحلي موضع الدراسة مع دورات الصراع وسعيه لضبطها: العدال، والتحكيم، والتضمير[15]، والوجه من الوجه أبيض، وغيرها، وهي تعود إلى بنية سردية كبرى هي حكاية الصراع وحل العقدة...

ولعل هذه الملفوظات لا سيما التي يتبعها الأفعال كالعدال والتحكيم والوجه، كانت نتيجة لدورات من الصراع بين الأفراد والقبائل والتجمعات خارج إطار الدولة المؤسساتية، ومن ثم فقد ابتكرت المجتمعات أساليب لغوية ذات طابع عرفي بمثابة القانون للتعامل مع مشاكل الصراع، وتساعد على عملية توصيف الحالة ضمن حركة الأحداث. ولعل هذه المسكوكات تمثل ذروة من ذرى ابتكارات الإنسان اللغوية في هذا الجانب. وهي ليست بالجديدة فألفاظ الصيغ والعقود[16] تقع ضمن المجال نفسه من حيث إلزاميتها.... فهي لغة – صيغة- عرفية- ملزمة- تمثل قانونًا... وكأن المسكوكات -لا سيما تلك المتعلقة بالحقوق والصراع وحل العقدة- هي: " حصيلة جملة من العمليات الفاعلة"[17] من حيث إنتاجية المجتمع لها وتطويره إياها، ومن حيث تفاعل الفرد معها والتزامه بها، ومن ثم فإنها تعد نوعًا من السلوك التلفظي في سياق ومقام محدَدَين. وقد جعل المجتمع لكل سلوكٍ يحتاج إلى ضبط حدوده والتزاماته، تعبيرًا يدل عليه، يتلفظ به ذو المسؤولية، وعلى سبيل المثال فالامتناع عن الاستجابة لطلب ممثل السلطة القضائية أو التنفيذية يتمَثَّل بكلمة (مُضَمِّر) فإنها تدل أو تفهم كناية على أنها امتناع عن طاعة ممثل السلطة..

وكلمة:(باذل لك الشريعة) تُفْهَم أيضًا على أنها امتناع عن قبول دعوى المدعي، فضلًا عن قبول مناقشتها عند شخصٍ ما، وهي رفضٌ للاحتكام إلى النقاش بإشراف سلطة المجتمع المحلي العرفية، ودعوة من الخصم للطرف المقابل بنقل الدعوى إلى القضاء الرسمي، كما يُفْهَم منها أيضًا التحدي. ومن ثم فهي سلوكيات ثقافية كونها تمثل مجموعة الأوامر والنواهي يُعْبَّر عنها عن طريق تلك المسكوكات حسب تقرير فرويد للثقافة[18] ذلك أن هذه العبارات تَرِدُ ضمن فعل لغوي مؤسسي وليست اعتباطية ولا محادثاتية آنية، حتى وإن وردت في سياق الجدل والخصومة. وقد بلغت من صرامتها المؤسسية أن سياقاتها محددة زمانيًّا ومناسباتيًّا أو مقاميًّا[19] و لا يُتَصَوَّر أنها تقال في غير تلك المساقات المؤسساتية[20] إلا إن خرجت عن الغرض المؤسساتي إلى أغراض أخرى كالتهكم أو اللامبالاة[21] وهي سياقات تتسم بالخصوصية بين طرفي التواصل؛ أما حين يكون فعل التواصل ضمن المقام المؤسساتي المؤطِر للمسكوكات، فإن الكلمات محسوبة بعناية؛ فهي استعمال مُقَنَّنٌ تلفُّظًا ومقامًا والتزامًا بما يجعل استخدام هذه الكلمات ينتقل من الكلام/ التلفظ، إلى الخطاب/ الفعل اللغوي الاجتماعي[22]. وتنفتح دلالاتها في لحظة التلفظ بها في المقام الخاص بها ففيها استدعاء لأفعال والتزامات غائبة[23]. وهي عبارات تُؤَدَّى ضمن قصدية بلاغية واضحة، لأنها ترتبط بالفعل والالتزام. أو تلك العبارات التي تمثل عقدًا مبرمًا أو بداية عقد يتضمن التزام المرسل والمتلقي و تحمل مسئوليتهما تجاه الفعل وتجاه الندّ المقابل. ومن ثم فإنها تمثل حالة من حالات القدرة التفاوضية أوصلت المرسل إلى مرحلة التلفظ بالمسكوكة سواء أكانت هذه التفاعلات تفاوضية أو مونولوج داخلي قام به الفرد ووصل إلى النتيجة بمفرده. وهذه خاصية تواصلية للتعامل بهذه المسكوكات.

ورغم أن التفاوض قد بُنِيَ في ذهن الطرفين وفق مخططٍ ذهنيّ ما فإن المحادثة في التفاوض لا تضمن سيرها وفق المخطط، ومن ثم فإن الحذر هو السائد في التخاطب ضمن المقامات المحددة في مسار الصراع وحل العقدة، أو في اللقاءات القبلية؛ لكون الكلمات محمولة على أنها خطاب على محمل الجد، بل تؤخذ بجدية حتى وإن كان المقام يتعلق بالتبرير لموقف شخصي ما مثل أن يكون التغافل المتعمد عن تقديم التهنئة أو التعزية مما أثار انتباه الطرف الآخر. أما في نقاش القضايا الحقوقية فهي أكثر جديَّة ومن ثم فإن المرسل ينبي خطة افتراضية للنقاش وتوجيه المحادثة وفق خطته، وبما يدعم حججه

المقدمة والردود المفترضة والبراهين المقترحة وهكذا، ومن ثم فإن إخراج الخبر عند الطرفين يشتمل على: 1- بنية مسرح افتراضي للنقاش/ للجدل، للقضايا البرهانية. 2- خطة بلاغية شاملة للمتكلم لعرض الخطاب بنيّة إقناع المتلقي/ المتلقين بصدق ما يقوله، وعن طريق تقديم براهين أو مبررات مساعدة للتصديق قد يدخل فيها لغة الجسد وتصوير الموقف ونبرات الصوت والتنغيم، وصولا إلى حمل المستمعين/ المتلقين على إصدار حكم معين، أو القيام بسلوك ما[24].

والخبر هنا يؤدي وظيفة الإنشاء، إذ لا يروم المرسل من احتجاجه مناقشة رسالته بقدر ما يروم حمل المتلقي على اعتقادها والتعامل معها كما يريد مرسلها، ففي الخصومات والجدل وسياق الخصومة يكون سَوْق البراهين والمبررات والحجج واستدعاء الماضي إلى حاضر المكان أمام الحضور للوصول إلى نقطةٍ ما يتغياها المفاوض قد يمثلها التحكيم أو العدال ثم تفويض محكمين، أو التعنت بالقول: باذل لك/ لكم الشريعة، لاسيما إن كان الجدل بخصوص حقوق مادية بين الأقارب أو غيرهم مثل المواريث والديون.. والأراضي.. وهذه خاصية تواصلية وحجاجية.

والوصول إلى هذه المرحلة من اعتماد مسكوكات لفظية لها سلطة قضائية وتنفيذية يدل على فترة زمنية طويلة من الصراع ومن البناء الاجتماعي لهذه المجتمعات المحلية في الوقت نفسه[25]، أما من حيث كونها دالة على تراكم لبناء اجتماعي فذلك لأن إيمان الناس بها واحتكامهم إلى كلمات يدل على وعي بالقيمة العملية للألفاظ. وأما دلالتها على فترة صراع طويلة فلأن الصراع يؤدي في فترة من الفترات وفي مرحله من المراحل إلى رغبة جامحة لدى المجتمع في بسط سلطةٍ ما للنظام، أو إرساء دعائم تضمن لهم الاحتكام إلى قوة اجتماعية ذات سلطة، وقد يكون الاحتكام إلى القوة الاجتماعية دليلا على غياب قوة الدولة.

2- **<u>حكاية الحياة والموت:</u>**

إذا كان الإنسان قد ابتكر في تعاملاته اللغوية صيغه التعبيرية الخاصة بالحقوق وبالخصومات، فإنه ومن باب أولى سيبتكر صيغه الهيجة والتفاعلات اليومية فهي أكثر حضورًا من تلك التعاملات التي تقع ضمن دائرة الصراع. ويوضحه العرض التالي:

أ- **التفاعلات الكرنفالية**:

وتمثلها المناسبات البهيجة المصحوبة بالحركة والتفاعل الاجتماعي الجماهيري، مثل الأعياد، ومناسبة الزواج، واللقاء الجماهيري يوم الجمعة. وهي مناسبات تتسم بالبهجة والاحتفالية والفلكلور الشعبي، ويصحبها في العادة المصافحة. وقد كان التصافح يتم في أداء تقليدي، والتفاعل في هذه المناسبات يكون تبادليًّا ومحدد الصيغ بين طرفي الحادثة التواصلية. ومن نماذج هذه التفاعلات الأعياد، ومناسبات الزواج.

1- **الأعياد:**

يصاحب مصافحة العيد عدد من اللوازم اللفظية فمثلا في صنعاء وضواحيها: (من العايدين)، (عيد مبارك)، وأيضًا: (عادكم الله من السالمين الغانمين، وحاج وزائر. أو: حاج وعروس)[26]، أما المتزوج فيقال له: يدعو له أن يبلغه الله حج البيت الحرام وأن يكرمه بالزواج إن كان يرغب في ذلك. والأخيرة عادة تقال للأعزب. وتختص النساء بزيادة قولها لمن يأتي للسلام عليها من أقربائها الرجال: (عادك كل عيد).

ونسمع الآن كلمات أخرى تتجاور جنبًا إلى جنب مع هذه اللوازم اللفظية المناسباتية إلا أنها قد تكون معتبرة باعتبار أنها سنة نبوية مثل: (تقبل الله منا ومنكم).

ومن ألفاظ التهاني: (جمعة مباركة)، فيكون الرد: (علينا وعليكم).

2- **الزواج**:

في هذه المناسبة يُصافَح العريس، ويُقالُ له تهنئةً في اليوم التالي لدخوله على أهله: (دام الله السرور، أدام الله السرور) ، فيرد: (سرور دايم).. أي جعله الله سرورًا دائمًا، على أن اللازمتين تقالان لا بقصد الدعاء بل كعرف كرنفالي ابتهاجًا. وتُزَّف العروس إلى بيت زوجها وينتظر الموكب أمام دار العريس على مسافة مناسبة منه عدد من المستقبلين يرفعون أصواتهم قائلين: (ارحبوا أهلا وسهلا، فوق العين والراس)، فيرد الوافدون بالعروس: (بقيتم/ بقيتوا).

وفي حفلة العرس الساهرة يتم التبرع عادة بمبلغ من المال أو صنع نوع من الطعام حسب المتعارف عليه ويتم الإعلان عنه بقولهم: (جبا لك يا حريو من فلان بن فلان بمبلغ .....) فيرد الحاضرون في ابتهاج وصوت مرتفع: (ألا يا الله سَلِّمه).

ب- <u>التفاعلات اليومية</u>:

لعل التحية والالتقاء بالآخر/ الآخرين هي أكثر الحوادث التواصلية حضورًا في حياة الإنسان ذلك أنها تصحبه من بداية يومه إلى خلوده للنوم. وغالبًا ما تكون الصيغ المستخدمة للتحية تتسم بالدعاء والتفاؤل. ورغم أنها تُقال دون إدراك لقيمتها من حيث الدعاء، أو أثرها في التماسك الاجتماعي[27] إلا أنها مؤثرة ويظهر أثرها في حال فقْدِها كما سيظهر في التأويل[28].

1- <u>الالتقاء بالآخر:</u>

تختلف قيمة اللازمة اللفظية بحسب طبيعة المجتمعات؛ فمثلا لازمة (خبور) ثم الرد عليها بـ(خبور خير) لازمة لا يستطيع أي فرد من أبناء محافظة المهرة(اليمن) أن يتجاوزها إلقاءً أو ردًّا، وإذا لم يُخَابَر مِنْ قِبَل الجالسين بقولهم للقادم: (خبور) لحظة سلَّم عليهم أو بعدها بلحظات يسيرة، فإن هذا الواصل إليهم قد يبقى ساكتًا، أو قد يترك اللقاء و يغادرهم، إلا أن المهم أنه لن يحدثهم بما كان قد جاء لأجله وربما تحمل المشاق العظيمة، والمتاعب الجسيمة ليصل إليهم ليخبرهم بخبرٍ ما ذا أهمية - خاصة قبل دخول وسائل الاتصال الحديثة - وهذا القول (خبور) يقوله أحدهم وعادة يكون عاقل الجلسة أو أكبرهم سنًّا أو صاحب المقام، وترى هنا موقفًا لطيفًا طريفًا إذ يتبادل الجالسون النقاش حول من سيقوم بمخابرة الشخص الذي قَدِمَ عليهم، حتى إنَّ الغريب يظن أنَّ الأمر أكثر من مجرد استخبار عن الأحوال، وبعد أن يرسو الأمر على أحدهم يقول له: (خبور)، فيرد عليهم: (خبور خير). وكذلك الأمر إن كان القادمون جماعة فإنهم يتشاورون في من سيرد بالمخابرة وبعد التراود والاتفاق على أحدهم وغالبًا يكون أكبرهم سنًّا، يقول: (خبور خير). واليوم ورغم شيوع وسائل الاتصال الحديثة إلا أنك ما إن تُسلِّم على أحد أبناء المهرة إلا ويرد السلام وبعض اللازمات اللفظية الأخرى مثل: كيف الحال؟ كيف أمورك؟ ثم لن ينسى أن يقول لك: (خبور) وعليك أن ترد لزامًا: (خبور خير) ثم أنت وشأنك فقد تكون الأخبار التي تحملها ليس فيها من الخير الظاهر شيئًا، وهي صورة من التفاؤل الحسن بقول المسئول: (أي الذي سُئِل) خبور خير. ولكن هل يدرك المتكلم أنه يتفاءل أم لا؟.

2- **التحية:**

تأتي أهمية المسكوكات في مقام التحية من أنها تعبير اجتماعي طقوسي، بل قد تكون أقرب إلى الاعتقاد بصوابها أو وجوبها بصيغتها المتعارف عليها، فمثلاً كان من العسير أن تقول في الصباح الباكر لأحد كبار السن: السلام عليكم. دون أن تقول: (كصبحتو)[29] ، أو (صبَّحك الله بالخير)، سواء قبل السلام أو بعده(والكلام هنا عن منطقة صنعاء وبعض ما يجاورها من المناطق) وكذا في تحية المساء، فقد اعتاد الناس السؤال عن أحوال بعضهم بعضًا في هذين الوقتين حتى توارثوا اللازمة وأصبحت عوضًا عن قولهم: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) في هذين الوقتين خصوصًا. وهي في كل الأحوال وإن كانت تقال دون إدراك كامل لمقتضياتها فإنها لم تفقد دلالاتها وبريقها الاجتماعي ونكهتها التقليدية الرائعة.

و هذه اللازمات عمومًا تعبير عن فكرٍ وثقافةٍ وعاداتٍ أصيلةٍ وليست مجرد مسكوكة لغوية حاضرة ومجهزة فعليًّا لاستخدامها في أوقات محددة أو مواسم معينة، فما ذكرته من السؤال عن الصباح بقوله: (كصبحتو). أي كيف أصبحتم؟ فيقول: صبَّحكم الله بالخير. أو الرد المناسب عند المتلقي فهي ليست مجرد لازمة لفظية، إنها سؤال عن كيف مضى يومه أو ليلته.

ومن صيغ التحية قول الداخل إلى مجلس القوم: (السلام تحية) بعد أن يقول: السلام عليكم. وقوله: (السلام تحية) بمعنى الاعتذار عن المصافحة، وليس بمعنى التحية القولية المعروفة، فتلك لا يُعفى منها. فيقال له: (أبلغت). وتقال هذه اللازمة حين يكون القادم إلى المجلس لا يرغب في مصافحة الجالسين لأي سبب كان، وقد يكون لكثرتهم كثرة تجعل مصافحتهم أمرًا متعبًا، أو أنهم قد بدأوا جلستهم التشاورية ولا ينبغي أن يقطعها بمصافحته، وقد يقول إذا كانت الجلسة تشاورية: (لُمَّهُم على خير) من الالتمام ولَمِّ الشمل. وقد يتبع قوله: (السلام تحية) باستثناء فيقول: (إلا الضيف)، فيؤشر له الحاضرون إلى الضيوف إن لم يكن يعرفهم فيصافحهم دون غيرهم، وإن كانت المناسبة قدوم مسافر فيقول استثناءً: (إلا الوصَّال) أي القادم من السفر فيصافحه دون غيره. وهو أسلوب تأدُّبٍ واعتذار من القادم عليهم أنه قد لا يستطيع أن يصافح الجميع لأي سببٍ كان، كأن يكون مرهقًا، أو لكثرة الموجودين، أو لكونه مستعجلاً، أو لكونهم في منطقة واحدة لم يفترقوا وقتًا يتطلب المصافحة، أو غير ذلك، وفي بعض المناطق مثل حضرموت

يقال: (قويتوا) فيقال لك: (حييتوا). واللازمتان للغرض نفسه. وتقال عندنا- في صنعاء- كلمة (قويتوا) بمعنى الدعاء بالعون بالقوة من الله تعالى لمن يعمل، أو آتياً من العمل. أيضًا من مبررات لازمة (السلام تحية) وهو من أهمها: أن يكون في المجلس شخص لا يرغب القادم في مصافحته لأي سبب، ففي العرف القبلي لو سلَّم بالمصافحة فسيلزمه مصافحة ذلك الشخص، مالم فيعد عيبًا في حقه، ويلومه الناس على هذا التصرف... فيكون قوله: (السلام تحية) مخرجًا له من مصافحة من لا يرغب بمصافحته.

ج- **التفاعلات الخاصة**:

تتسم صيغ هذه التفاعلات برحابة الصدر وإشعار الآخرين بالبهجة لمقدمهم، وبالكرم وحسن الاستقبال، وفَقْدُها في مقامها يجلب التكدير لاسيما إن كانت المراسيم تقليدية وتقضي بذلك. ومن نماذجها الضيافة.

الضيافة: مع دخول ضيف أو استقباله فتقول: (حيَّا الله من جاء)، (ارحبوا أهلا وسهلا). وقد يقول الضيف: (حيَّا البيت وأهله)، فيرد عليه صاحب البيت أو من ينوب عنه في استقبال الضيف: (وحيَّا مَنْ دَخَلِه). وفي موقف الغداء أو الأكل، وإن كان الأصل الغداء، يقول المضيف للضيوف: (تغدوا ويهنا) (بالهناء). فيردون: (الله يهنيك). وبعد الغداء -إن كان عرسًا- يقول الضيف: (الله يجعل في ذلك خير). وبعضهم يزيد: (ويجعل بكرها ولد)، أي مولودها البكر ذكرًا. وقد قلَّت مثل هذه اللازمة وإن لم تنته، وليس هذا في كل المناطق، وإنما فيما أعلمه. و يقول الضيف عند مغادرته أو مع الانتهاء من الطعام: (كرمتم وسلمتم). ويردون: (معكم العافية). أو يقول الضيف: (أكرمهم وعزهم وديم فضلهم)، أو: (اجعل البيت معمور، مال ورجال). ونلاحظ وجود أسلوب الفصل والوصل في قولهم: اجعل البيت معمور، ثم التفصيل: (مالا ورجالا).

ومن المسكوكات التعبيرية في مقام الضيافة المخصوصة أن يقول المضيف لضيفه: (**إرحب / إرحبوا مرحب الصوت**). ولا يلزم المضيف قولها إلا إن أراد. وهي لازمة لفظية يتبعها أثرٌ ملزم؛ فقول المضيف لضيفه: (**ارحب مرحب الصوت**)، يقتضي أن يذبح القائل للمقول له رأسًا من الغنم أمامه ضيافة له، وإذا ما كررها فيلزم أن يقوم بالذبح رأسًا أمام كل مرة يقولها، وقد يلزم الضيف الامتثال بالبقاء عند مضيفه مهما كانت شواغله أو دواعي انطلاقه، وقد لا يلزم الضيف بالبقاء.

العزاء: العزاء مناسبة اجتماعية تشبه مناسبة العرس من حيث لزوم مشاركة المجتمع صاحب الأمر في مصيبته كما شاركوه في فرحه، ويحضر أبناء القرية بما لديهم من طعام الغداء ويتناولونه في فناء دار المتوفى ويعزون أقاربه. ومن المقولات المتداولة: (الله يرحم من مات ويعافي من بقي). ويُجابون بقولهم: (عشَّر الله خطاكم)، دعاء للزائرين بأن يضاعف الله لهم أجرهم عشرة أضعاف خطواتهم.

د- التفاعلات الاجتماعية العامة:

ومن أبرز نماذجها اللقاءات القبلية، وتتجلى في هذا النوع من التفاعلات التقاليد وعراقتها وضرورة احتكاك الشباب وصغار السن بمثلها ليكتسبوا أسس التحاور والحجاج والخصومات، ورغم أنها تتعلق بالصراع إلا أنها قد تكون لقاءات لمناقشة قضايا عامة ولذا جعلتها هنا ولم أجعلها ضمن فقرات الصراع.

اللقاءات القبيلة:

من أهم المواطن التي تُسْتَخْدَم فيها اللازمات/ المسكوكات التعبيرية بعناية وحرص شديدين أقرب إلى الاحتراف والمهارة الطقوسية: المواقف القَبَلَيَّة، وهي تلك التي تجتمع فيها القبائل أو أبناء القبيلة الواحدة وربما أبناء القرية الواحدة للتداول في أمر من الأمور. ولافتتاح هذه اللقاءات القبلية الاجتماعية تقاليدها؛ سواء أكانت داخلية، أم مع القبائل الأخرى، هذه التقاليد من حيث كونها طقوسية، إذ يتشكل الحاضرون على هيئة دائرة مكتملة أو ناقصة، وكل طرف يشغل نصف الدائرة تقريبًا، ثم يتقدم المتحدث ليلقي كلمته ثم يعود إلى الدائرة ويتقدم من الطرف الآخر من يجيب عن كلمة الطرف الأول.

وتختلف المسكوكات حسب اختلاف غرض اللقاء، فمثلًا في افتتاح اللقاءات التي لا تتعلق بوجود صراع أو اعتذار فيُكْتَفَى بافتتاح شيخ اللقاء للقاء بلازمات تقليدية كالصلاة على النبي ومخاطبة الجمع. أما حين يكون اللقاء للتوفيق بين متخاصمين، أو لتقديم الشكر والعرفان، أو لتقديم الاعتذار عن خطأ ارتكبه فرد/ أفراد من الطرف الآخر(الطرف الأول: المستقبل للقادمين. والطرف الثاني: الذين قدموا) فيؤتَى بلازمات مخصوصة زيادة عن اللازمات التقليدية في افتتاح القول ومخاطبة الناس، فيُذَكِّرون بالروابط الأخوية بين القبائل أو أفرادها ويشيدون بحسن الجوار وأنهم يد واحدة ضد أي

عبث يمس تلك الروابط. كما يكون الوصول بالزامل[30] حاضرًا في مثل هذه الملتقيات ويستقبلهم المستقبلون بما يتناسب مع المقام من قول شعري أو خطابي ترحيبي.

ولهذه الملتقيات/ المنتديات القبلية تقاليد معروفة، فمثلاً حين يقول زعيم القبيلة أو أحد كبرائها آمرًا بالصلاة على النبي بقوله: (صلوا على رسول الله) أو بقوله: (صلينا على رسول الله)- ﷺ- فإنه إيذان ببدء الكلام الرسمي أو الكلام المسئول في هذا اللقاء، وإشارة إلى وجوب سكوت الجميع إلا من يحق له الحديث، إلى غير ذلك مما يتبع البدء في فعاليات اللقاء الجماهيري. ومن الطُّرَف التي تُروى في هذا السياق أنَّ قومًا اجتمعوا لغرض من الأغراض وفق الأعراف القبلية، وتأخر الزعيم المخول بافتتاح اللقاء ومناقشة موضوع اللقاء، وحَدَثَ أن سكت الجميع فأراد أحدهم تنبيههم فقال: صلوا على النبي، فرد عليه الآخر: (لوما) يجي الشيخ. أي علينا الانتظار إلى أن يأتي الشيخ ثم يفتتح اللقاء. فقد فهم السامع أن قول القائل: (صلوا على النبي)، كان بقصد افتتاح اللقاء قبل وصول الشيخ.

ويقولون: (صلينا على رسول الله) وهي مثل الأولى(صلوا على رسول الله) إلا أنها قد تكون أكثر خصوصية باللقاءات الأقل تجمعًا، أو الأكثر خصوصية مثل الصلح بين الأسر(الأزواج وأهالي الطرفين) أو الذهاب لخطبة فتاة، أو لإعادة زوج إلى عش الزوجية، أو لطرح موضوعٍ ما على الأسرة، وسواءً أكانت الأسرة قد علمت بالموضوع الذي سيأتي من أجله المتحدِّث أم لا. وعند ارتفاع الأصوات مزاحًا أو شجارًا يقال: صلِّ/ صلوا على النبي، تهدئة للحاضرين. أو إذا اجتمع قوم فسكتوا ولم يتكلم أحدٌ منهم يرفع أحدهم صوته بالصلاة على النبي -ﷺ- استغرابًا لسكوتهم أو تذكيرًا لهم. وقد تقال استنكارًا لأمر ما.

ويتغير مدلول المسكوكة باختلاف سياق المقام الذي قيلت فيه، وعلى سبيل المثال فقد يكون قول القائل: (بيَّضَ الله وجهك)، مدحًا لشخص نفعك نفعًا عظيمًا، أو استبشاراً بخبر ساقه إليك المتكلم، أو دَينًا أدَّاه إليك في وقته، أو حاجة قضاها لك. كما قد تكون عتاباً بين الأقارب وأبناء القرية أو المتعارفين. وتكون أيضًا تنبيهًا للمتكلم/ السامع أنه قد اقترف جرمًا عرفيًا بكلام أو إشارة أو تجاوز أثناء التخاصم. وقد اقتصرتُ على نماذج توضيحية في التفاعلات الاجتماعية لتوضيح أثر المسكوكات وقيمتها التداولية والتعبيرية

ونكهتها التقليدية، إلا أن أثر فعل المسكوكات يكون أكثر حضورًا، وأشد ما يكون تأثيرًا وفعلاً اجتماعيًّا وعرفيًّا في كثير من مواقف الخصومات، مثلاً: ألفاظ الخصومات والتحكيم وهي كثيرة، ومنها: (عدال) (محكم) (بيَّض الله وجهك).

ثالثًا: أهمية المسكوكات/ قيمتها التعبيرية

تأتي أهمية هذه المسكوكات، فضلًا عما تمثله من حكاية من خلال موقفيتها ومقاميتها كما هو الحال في الأمثال، من أنها تعبير اجتماعي قد يقترب من البُعد الشعائري والتعامل الطقوسي، والاعتقاد بصوابها أو وجوبها. ولئن قيل إنها أصبحت تُقال دون إدراك كامل لمقتضياتها، فإنها لم تفقد دلالاتها وبريقها الاجتماعي ونكهتها التقليدية الرائعة، و هذه اللازمات –عمومًا- تعبير عن فكر وثقافة وعادات أصيلة وليست مجرد مسكوكة لغوية حاضرة ومجهزة فعلياً لاستخدامها في أوقات محددة أو مواسم معينة.

رابعًا: عوامل تطور المسكوكات

يمكننا إرجاع تطور المسكوكات اللغوية- سيما التي لا ترتبط بالحقوق- حسب رأي الباحث وملاحظته إلى عوامل مرتبطة بالتطور الاجتماعي الناتج عن الآتي:

- التعليم، وهذا العامل ينقسم إلى: عامل مسموع يتمثل في لغة المعلمين الوافدين من خارج القرية أو المدينة، أو الوافدين من خارج الدولة، إذ لا يهمهم مسكوكات معينة لأنهم جاءوا محملين بمسكوكاتهم، ولأنهم أي الوافدين غير مطالبين من قبل المجتمع بأن يتمثلوا عاداته التعبيرية ولذا فليس من حرجٍ عليهم إن لم يلتزموها، أما إذا حاول هؤلاء الاندماج في العادات التعبيرية فإنهم ينالون رضا واستحسان المجتمع المحلي. والشق الاخر المتمثل في المرئي بالكتابة في المناهج التعليمية، والقدرة على القراءة وما له من تأثير في إكساب القارئ أساليب ومعارف جديدة.
- التفاعل بين التجمعات السكانية المختلطة بفعل الهجرة إلى المدينة ما يؤدي إلى حضور أكثر من صورة لفظية وتعبيرية وفقًا لعادات المجتمع التي وفد منها أصحابها إلى المدينة.
- التطور التكنولوجي الذي سمح بانتقال اللغة مسموعة حية من مجتمع إلى آخر عبر التلفاز وشبكات التواصل. فمثلا من الممكن أن تقول الآن: ازيك؟ أو كيف الأمور ؟ عوضًا عن: كيف حالك، أو أخبارك طلبا للخبر، وبابا أو ماما عوضا عن أمه وأبه....الخ.

- الاحتكاك بالوافدين من الأشقاء سواء للتعليم والعمل وهما أكثر تأثيرًا، أو للسياحة.
- الانفتاح الثقافي والعلمي والهجرة إلى خارج الدولة للدراسة أو العمل.

وعلى سبيل المثال كان الناس في صنعاء وبعض المناطق المجاورة لها (حسب علمي) يقولون: (كصبحتو) على أنها هي التحية في الصباح، أو صباح الخير والآن السلام عليكم ورحمة الله، كأثر من آثار التعليم، وتكاد تتلاشى اللازمة التقليدية(كصبحتو) و(كمسيتو)، و(أسعد الله صباحكم) أو (أسعد مساكم)، وكانت لازمة: (خاطركم) في موقف المغادرة من المكان، في حين نجد اليوم مسكوكات جديدة منها: مع السلامة أو في أمان الله أو باي باي.

ولعلنا نلحظ، فيما يأتي من الدراسة، أن المسكوكات التي ترتبط بالحقوق لم يطرأ عليها تغيير رغم التعليم والتمازج والانفتاح، لأنها تمثل الالتزام القانوني، في حين أن مسكوكات التهاني تتأثر بالواقع المعاش وينالها نصيبها من التحوير أو التغييروتتأثر الحركة الثقافية شأنها شأن الأشعار الشعبية.

وظائف المسكوكات:

إذا كانت اللغة تؤدي وظائف أساسية فإن لها وظيفتين هما الأهم، أما " الوظيفة الأولى التي تؤديها اللغة والمتمثلة في التعبير عن المضامين فنسميها وظيفة تعاملية، وأما الوظيفة المتمثلة في التعبير عن العلاقات الاجتماعية والمواقف الشخصية فنسميها وظيفة تفاعلية"[31] الوظيفة التعاملية موجهة نحو الرسالة فالمهم عند مستعملها أن يأخذ عن المتلقي معلومات تفصيلية صحيحة... ويضرب مؤلّفا كتاب ((تحليل الخطاب)) لذلك مثلا بنصائح شرطي المرور وإرشادات الطبيب[32]. ومن أمثلة اللغة التعاملية لإقامة العلاقات الاجتماعية: رسائل الشكر، الرسائل الغرامية، وألعاب الاستنتاج..[33]. وتقوم المسكوكات بأداء وظائفها التي صيغت من أجلها ونشات استجابة لها، ومن أبرز تلك الوظائف:

1- **الوظيفة الاجتماعية**: تحمل هذه المسكوكات الطابع الاجتماعي من حيث كونها تمثل تواصلًا لفظيًّا معروفًا في سياق محدد ومناسبات معروفة أو مقامات متفق عليها، وبغض النظر عن القائل أو المقول له فإنهما يتبادلان الرتبة والمقولات ويحددها في ذلك المناسبة

والمقام وليس الشخوص فقط، وهذا يؤكد القيمة الاجتماعية لها ولتوارثها كجزء من سلوكيات المجتمع وضوابطه.

2- **الوظيفة الثقافية**: إن المحادثات والتراث الشفوي أكثر اتصالًا بروح المجتمع " وإذا كان المكتوب يعبر عن شخصية الكاتب، أي الفرد، فإن الأدب الشفاهي يعبر عن شخصية الشعب (المجتمع) ويرصد وجدان الناس ويسجل اهتزازات الضمير الجمعي ويساعد على الاستمرارية الحضارية بين الأجيال ويسهم في تثقيف النشء، ويسهل عليهم عمليات التكيف الاجتماعي والثقافي.."[34] فالمحادثة في الأساس عمل مؤسساتي، أو تخضع لبنية مؤسساتية، فهي خاضعة للعلاقة القائمة وفق مقولة: لكل مقام مقال، ومخاطبة الناس بما هم أهله، رغم تلقائيتها- أي المحادثة- لأنها في إنتاجها تحتفظ أو تلتزم – غالبًا- بمتطلبات مقام المرسل والمتلقي، ومن المحادثة يتعلم الأطفال اللغة وأساليب الحديث والجدل. وفي هذا تأكيد على انتماء التراث الشفوي للهوية، ومن هذا التراث هذه المسكوكات التي تعمل على ضبط التعامل بين الأفراد داخل المجتمعات المحلية وبين القبائل، ومن ثم فإنها تمثل قواسم مشتركة تحقق نوعًا من الانتماء المشترك أو الشعور به دون تمييز بين الفئات والأفراد، وهذه القواسم المشتركة تمثل عملية دمج اجتماعي تعمل على تماسك المجتمع، فالمسكوكات فيها عملية دمج بين الفئات والأفراد. والاحتكاك بهذه المسكوكات وبمواقفها ومقاماتها يُعَدُّ نوعًا من الأنشطة الاجتماعية الثقافية التي يقدمها المجتمع من خلال عمليات التعرض والمعايشة بالمشاهدة والمشاركة. وتعمل الأنشطة الثقافية واللغوية المشتركة ومنها المحادثات والمسكوكات التعبيرية على زيادة تعميق الأواصر والروابط الاجتماعية وتساعد على اندماج النشء في المجتمع وتعلم/ اكتساب أساليب الخطابة/ بمعنى الجدل والمحادثات الإقناعية والحوار، كما تساعد على تمساك الجماعة وتخفف من حدة التوتر بين أفرادها بسبب ذلك المشترك الثقافي. ولذا نلحظ أنه ومع تزايد الفجوة بين الأفراد والجماعات أو الفئات العمرية أو الحزبية كنتيجة من نتائج التعبئة الإعلامية اليومية ضد الفئات والأفراد، فهذا عميل وذاك خائن....الخ، وإحساس كل طرف أن الطرف الآخر لم يعد يتمثل القواسم المشتركة للجماعة، كل هذا يؤدي إلى افتراض أن أفراد الجماعة المكونة للمجتمع " لم يعودوا ينظرون بعضهم إلى بعض على أنهم يحملون ثقافة مشتركة متميزة إلى حد ما، فإن هذا يعني بالتأكيد أنهم قد فقدوا هويتهم الثقافية،

وهناك حالة أخرى يمكن أن نصفها بأنها تمثل أيضًا فقدان الهوية الثقافية وهي احتمال اختفاء الأعراف التي تحكم الجماعة من دون إحلال مجموعة أخرى من الأعراف محلها، حيث إن هذا من شأنه أن يضع هذه الجماعة في حالة: حرب الكل ضد الكل"[35].

3- **الوظيفة التواصلية**: هذه المسكوكات ليست عمليات لغوية ومقامية تجريبية مصطنعة للتحليل ومن ثم فهي تمثل علاقة تواصل. وعبارة: لكل مقام مقال ترشدنا إلى وجوب استخدام لغة ملائمة لكل موقف، حيث إن المتلقين يتوقعون نوعية معينة من اللغة تتلاءم وطبيعة اتصالنا بهم، وقد يتوقف تعاملهم معنا وفقًا لتلك المقولات المستخدمة في ذلك الموقف، سيما في التفاعلات ذات الفعل الحجاجي والخصومة.

خلاصة القول:

تتسم المسكوكات اللغوية التعبيرية من ناحية لغتها وبنيتها النصية بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى بأيسر جهد وأقل تكلفة، وهذه من أساسيات علم الاتصال الحديث. وبأنها عبارات صيغت وتعارف عليها المجتمع في مواقف محددة لتؤدي وظيفة دلالية تداولية قد لا تخلو من الطقوسية، كما أن منها ما يتعلق بالحقوق والالتزامات، ومن ثم كان لها قوة عرفية قانونية. إذن فقد نشأت المسكوكات لتكون تعبيرًا عن حركة الحياة لمجتمع اللغة في تمثيل حركة الموت والحياة وضبط التعامل بين الإفراد والمجتمعات.. وطالت مختلف مناحي الحياة الفردية والمجتمعية.

خطاب المسكوكات

تمهيد:

ما زالت الدراسات العربية - حسب علم الباحث - غير مهتمة إلا بتحليل النصوص الأدبية النماذج أو النصوص النماذج، ولم يجد الباحث فيما اطلع عليه تحليلا للمحادثات كالمحادثات اليومية، ناهيك عن محادثات وسائل التواصل الحديثة من الفيس بوك وتوتير والواتس اب ونحوها، أو تلك التي تكون بين العشاق، أو محادثات المجرمين في السجون أو مع استجواب الشرطة لهم، فضلًا عن المحادثات الخاصة بالشواذ. وذلك بسبب من الفصل المنهجي والفكري بين أنماط الكلام ضمن ثنائية الخاص/ العام، وبإغفال أن الكلام يشمل جميع التجليات الكلامية، وهي التي يقول عنها سعيد يقطين:" ونقصد بالتجليات التحققات النصية الملموسة (...) لأن التجليات النصية تظهر لنا بشكل مباشر

من خلال ما نسميه بالتعامل النصي العام، فأي نصٍ كيفما كان جنسه أو نوعه، أو نمطه، لا ينتج إلا في نطاق بنية نصية موجودة سلفًا"[36] من هذا المنطلق يكون النظر في التجليات النصية المستخدمة ضمن المحادثة الاعتيادية في صورتها الطبيعية غير المصطنعة لأغراض التحليل، " ويكون المعيار الأساس الذي نرتهن إليه في اعتبار الكلام هو توفره على حد معقول من درجات القبول لدى مستقبلي هذا الكلام أو متلقيه، أو طبقات من المتلقين"[37] " ذلك أن مفهوم الكلام بهذا الاعتبار سيشمل مختلف الممارسات اللفظية الدالة[38]. وبالنظر في المحاورات والمحادثات التلقائية جنبًا إلى جنبٍ مع التجليات النصية المعتبرة أكاديمياً سنجد أننا بحاجة إلى تبني رؤية تقييمية جديدة لواقعنا، لأن هذه التجليات أصدق في التعبير عن قائلها لتلقائيتها، وأكثر التصاقًا بحالته النفسية وحالة اللاوعي أو العقل الباطن، ولها دور في إماطة اللثام عن مقومات الشخصية الجمالية[39].

وفي المسكوكات اللغوية التعبيرية نجد نماذج نصية مقننة تُسْتَخْدَم حسب موقفها وتحمل دلالاتها والتزاماتها، وهذا يجعل من اللازم دراسة مثل هذه النماذج ليس في بنيتها النصية بل في بنيتها الخطابية، ذلك " أنَّ تداول أجناسًا معينة من الكلام له دلالة لا يمكن القفز عليها بأي نوع من أنواع المصادرة[40]، قد يكون بعض التداول لحظياً، ومتصلا بفترة محددة، ولكنه قد يكون كذلك ممتدًّا عبر حقب وعصور عديدة وهذا يثير عناية الدارس أكثر لا سيما إن كان هناك من يصادره أو يحاربه وهو ممتنع عن الشحوب أو الزوال. هنا يصبح الاعتناء بهذا الكلام ضرورة لأنه يفتح لنا إمكانية التعرف على أسباب ظهوره واستمراره، وفهم البنيات الذهنية التي تنتجه وتتلقاه"[41].

خطاب المسكوكات:

يمكن القول:" إن كل مظهر من مظاهر الوجود اليومي للإنسان عبارة عن علامات تشكل انعكاسًا للثقافة المجتمعية التي تخبر عنها وتكشف عن هويتها، فالطقوس الاجتماعية واللباس والأداء الفني والأدبي، وكل مظاهر الحياة الاجتماعية، علامات نستند إليها في التواصل مع الآخر (الإنسان والفضاء الذي يحيط بنا) فكل لغة من هذه اللغات تحتاج إلى تقعيد، أي تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها، مستندة في ذلك وفي الكثير من الحالات إلى ما تقترحه العلوم الأخرى من مفاهيم ورؤى وتصورات ولذلك فإن كل شيء في اللغة يحوي قيمة دلالية وتواصلية"[42] ومن الملاحظة

والمعايشة للتعامل بالمسكوكات يمكن استجلاء عدد من السمات التي تميز خطابها من الناحية المقامية والثقافية، ومنها:

أ- الالتزام اللفظي والثقافي(نص ثقافي):

لما كانت هذه المسكوكات غير محورة وهي متوارثة تلفظًا وتفاعلا اجتماعيًا ولبعضها سلطة القانون، فإنه يمكننا النظر إليها على أنها نتاج حوار اجتماعي تاريخي. " ومن هنا فالباحث في الموروث الشعبي عليه أن يغير بعض الشيء من صيغة "ياكبسون" إن أراد استخدامها في تحليل النص الشعبي، وإن كانت صيغة "ياكبسون" لا تزال كما هي صالحة لتحليل النص الفردي تحليلا ثقافيًا، فالراسل عند "ياكبسون" هو الذات المرسِلة برسالة، إلى متلقٍ يعيش في المجال نفسه، وقادر على فك شفرتها، وإلا فإن الرسالة لا تصل، أو أنها تصل ناقصة، وإذا كان الأمر كذلك مع المبدع الفرد فإن الأمر يختلف مع النص الجماعي الذي يسبق ناقله، ويُعَدُّ مخزونًا حضاريًا جمعيًا، ولذلك فإن الصيغة لا تبدأ بالراسل بل بالمخزون الثقافي للجماعة، ويأتي الناقل المستوعب له فيأخذ منه ما يطيب له أن يوصله للجماعة صاحبة هذا الميراث الحضاري، ولذلك، فهي قادرة على فك شفرتها واستيعابها ثم تفعيلها"[43].

ب- التعاملية والتفاعلية المقصودتان وفق الظرف المخصص(اللغة ضمن الحدث):

لما كان " المقصود بالخطاب أنه ليس مجرد سلسلة لفظية أو عبارة أو مجموعة من العبارات تحكمها قوانين الاتساق الداخلي – الصوتية والتركيبية والدلالية الصرف- بل كل إنتاج لغوي يُربَط فيه ربطَ تبيعةٍ بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية بالمعنى الواسع فإن بنية الخطاب ليست متعالقة والظروف المقامية التي يُنْتَج فيها فحسب، بل إن تحديدها لا يمكن أن يتم إلا وفقًا لهذه الظروف (.....) ربط التبعية يعني أن لبنية الخطاب علاقة بوظيفته، بل إنها خاضعة لهذه الوظيفية على اعتبار أن وظيفة الخطاب الأساسية التي تتفرع عنها باقي الوظائف الممكنة هي وظيفة التواصل.."[44] فإن المسكوكات ليست مجرد علامات لأنها ليست اعتباطية بل هي مصوغات قصدية، وإن كانت نشأتها وقائلها غير معروفين، فإن المسكوكة كانت لغرض إبلاغ عن سلوك وليست تعيينًا لشيء. وقد صيغت المسكوكات لتكون ضمن سياق تواصلي معين بل محدد بدقة. فهذه الصيغ/ المسكوكات لها

وظائف دلالية معرَّفة اجتماعيًّا، ولذا " فإن محلل الخطاب ملزم بالبحث في ما تستعمل تلك اللغة من أجله"[45] ومن ثم فينبغي أن يعمل تحليل الخطاب في المسكوكات على أنها مادة لغوية غير صادرة عن المحلل اللغوي، ولا مصنوعة بقصد التحليل؛ بل هي لغة طبيعية مقننة صادرة عن المجتمع ضمن السياق الثقافي له.

ج- **الاقتضاب المثمر (التعبيرية الدقيقة)**:

إن المسكوكات نصوص مقتضبة ترفض الإفاضة، وهي لا تمثل حكاية خاصة بقدر ما تمثل حكاية سردية مجتمعية متكررة ولعل عدم الإفاضة كان بسبب محدودية الموقف وقانونية التعبير وقولبته في سياقه. وهذه الكلمات لا تقال إلا عن درجة وعي كامل من الباث لقصديته، ودرجة وعي مناظرة لهذه القصدية وطريقة التعامل معها من المتلقي باعتبار الكلمة/ المسكوكة مفتاحًا/ رمزًا /علامة... لسلوك غير عرضي بل هو سلوك مقصود. وعادة يكون التلفظ محاطًا بالحذر في المسكوكات المتعلقة بالحقوق والاعترافات... وتحقق المسكوكة غالبا شرط الإشباع لدى الطرف المتلقي لتبدأ رحلة انحدار العقدة باتجاه الحل (التحكيم، الوجه، العدال). أو لدى الطرف المرسل ليبدأ رحلة الصعود وتأزيم الموقف (العدال، التضمير، الوجه من الوجه أبيض). فالتحكيم يعني اعترافا بالذنب واستعدادًا تامًّا لتحمل تبعات الاعتراف وإصلاح ما أفسده الخلاف. أما العدال فهو نقل للتوتر من الصيغة الشفوية الفردية ومن ميدان الأفراد إلى صيغة قد تتطلب الكتابة كما أنه نقل للصراع إلى مجال مقنن اجتماعيًّا كونه سيكون ملزمًا بالالتزام بعدم إحداث أي تصرف خلال الفترة التي تعرض فيها المشكلة على المحكم اجتماعيًّا وهو فرد من أفراد القبيلة أو من خارجها، وينتج عن المشاورات ما يشبه حكمًا ابتدائيًّا. وأما (التضمير) و(الوجه من الوجه أبيض) فتمثلان تحديًّا صارخًا للآخر.

د- **الالتزام المؤسسي(الفعل مقابل اللغة)**:

لهذه المسكوكات خطابها الخاص الذي تحمله و تنفتح عليه؛ لكونها عبارات أُبتكِرَت ضمن المؤسسة الاجتماعية واستُعمِلَت لتكون ممثلة لفعل يلتزم به المتكلم عن قصد ودراية، أو تحذير يحمل تبعاته. وهذا في صنفٍ من المسكوكات وليس فيها كلها. فهي عبارات مُنَظَّمة لتعاملٍ معين في سياق معين، وتكون مُنتَظَرَة من المجتمع، ففي فعل التحكيم على سبيل المثال فإن المجتمع قد ينتظر بفارغ الصبر هل تم التحكيم أم لا.... وقد

لا يتلفظ المعنيُّ بالأمر باللفظ أنه محكم، ولكنه يقوم بالفعل المرادف له بإرسال وتسليم حكومته حسب العرف وتكون (الحكومة) عادة إما قطعة سلاح أو خنجرا من الخناجر الأصيلة ذات الأثمان العالية. ليبدأ بذلك فك العقدة وحل الأزمة وإزالة التوتر بعد الوصول للذروة. ولعل هذا اللفظ (محكم) من أشد الألفاظ اكتنازًا للفعل مقابل اللغة والعكس؛ كونه قد ينهي صراعًا قد تكون نتائجه كارثية إن لم يتم حل إشكالاته.

وهذه القطعة الرمزية من السلاح يمكن أن تستخدم إطفاء للصراع وإشعارًا بالإذعان أو الاعتراف. وقد تستخدم طلبًا للخصم بالاحتكام إلى شخص ما فتكون تلك القطعة الرمزية مفتاحًا للخصومة الحجاجية وصولا إلى الحل، ويكون الاختلاف في الصيغة المقولبة للموقف، ففي الأولى (التحكيم) وفي الثانية (العدال).

بناء على ما سبق فإنه يمكن النظر إلى المسكوكات اللغوية التعبيرية وتحليلها على أنها نماذج تحليلية للغة طبيعية مقننة، تبقى قيمتها في ذاتها، أي في ذات النصوص بصرف النظر عن اللهجة المحلية التي وردت فيها قدر الإمكان، بمعنى أن تحليل نماذج من المسكوكات في أية لهجة قد يفيد كنموذج للتحليل في لهجات أخرى لها مسكوكاتها الخاصة بها.

والمشكل هنا أنه لا يمكن التنبؤ من قِبَل محلل الخطاب بصرامة عن طريقة الإخراج من قبل طرفي الحوار أو إمكانية وضع خطط قياسية معيارية يقاس إليها خطط مثل هذه النقاشات وهذا هو حال اللغة الطبيعية في المحادثات والمواقف الاستعمالية للغة بصفة عامة وإن وجدت بعض التنبؤات الصارمة فهي محدودة مثل المسكوكات في بعض مواقفها كالتهاني والتعزية والترحيب وبعد الحلاقة ونحو ذلك.

المسكوكات وفعل التأويل

يعرف الباحث التأويل في هذا البحث بأنه: التمثيل الفعلي من قِبَل المتلقي للخطاب/ نص المسكوكة اللغوية التعبيرية، فهو درجة رديفة للخطاب وكأنهما وجهان لعملة واحدة. وإن كان التأويل مرحلة تالية للخطاب. ويمثل التأويل رد الفعل الفردي للتعامل مع النص/ الخطاب. فالخطاب في المسكوكات قد حملته منذ اتفق عليها المجتمع وتعامل بها فأصبح قارًا فيها ومتلبسا بها.

أولا. فعل التأويل:

يشترط في نجاح فعل التأويل-أيًّا كان خطابه ورسالته-نجاحًا يحقق كل ما خُطِّطَ له، أو بعضه، جملة من المتطلبات التي يعتني بها غالبًا محللو الخطاب، ويمكن إجمال تلك المتطلبات في الآتي:

1- فهم العالم: فهم الكلمات في وظيفتها التعيينية.

2- فهم اللغة: والفرق بين فهم الكلمات وفهم اللغة، أن اللغة سلوك اجتماعي تلفظي تعبيري، مصحوبٌ بالنبر والتنغيم والمقام وغيرها، أما الكلمات فدوال معجمية تعيينية ولا يكفي فهمها مجردة عن سياقها المقامي والتعبيري لفهم خطابها.

3- فهم السلوك الاجتماعي وطريقة التعامل بين الناس، ومن هنا نجد أن نقل بعض العبارات إلى سياق آخر يغير دلالاتها: ففي قولهم في المنتديات القبلية أو الأسرية: (صلوا على النبي)، إشعار بافتتاح اللقاء التشاوري القبلي أو الأسري، ومن ثم ينبغي السكوت والإنصات، ولا يقولها لهذا الغرض ولا تفهم بهذا التأويل إلا إن صدرت عن المسئول عن اللقاء، أومن يحق له افتتاحه كالشيخ أو من ينوب عنه. أما إن قيلت العبارة أثناء رفع الصوت فالقول يقصد به التهدئة، وإن قيلت لكسر الصمت فهو مقام مغاير لسابقيه، وهكذا.

4- التعرض والمعايشة/ معايشة المواقف التواصلية الطبيعية المختلفة، وهذا يختلف عن فهم اللغة بأن الفهم هناك يتعلق مبدئيًّا بالمعنى والسياقات العامة. أما هنا فيتعلق بفهم المواقف وأنماط التواصل المتعلقة بها، لذا قد نجد أن الذين لم يعايشوا بعض المواقف مثل التعرض لقول أحدهم: (نعيمًا) بعد الحلاقة، قد يخفقون في التصرف، ليس لأنهم لا يعرفون معنى هذه الكلمة في أصلها، لكنهم لم يتعاملوا مع هذه الكلمة بوصفها نمطًا محددًا في سياق معروف ومحدد سلفًا.

5- الفهم المحلي: بإدراك مقاصد التعبير المستخدم وعناصر التأويل أو ما شابه ذلك، إذ من المحتمل جدًّا أن تتشابه المسكوكات مع اختلاف استخداماتها، وعلى سبيل المثال فمغادرة مجلس النقاش مصحوبًا بالقول: (السلام عليكم)، قد لا يُمَثِّل تحيةً واستئذانًا للخروج الاعتيادي بقدر ما يمثل رفضًا للحوار أو لبعض ما فيه، أو لأسلوب التعاطي مع موضوع النقاش أو آليته.

ومن ثم فإن فهم المرسل والمتلقي يعتمد بقدر كبير على قدرتهما على استعمال معرفتهما للعالم: المحيط الكوني والمادي، المجتمع المحلي وعاداته، وتجربتهما لأحداث مماثلة أو معايشتهما لأحداث مماثلة تمكن كل منهما من الحكم على المقصد الذي يمكن أن يهدف إليه الكلام/ الخطاب، وما يتبعه من السلوك، كما أن معرفتهما للعالم المحلي وعاداته التعبيرية والسلوكية مثل السياقات وطرق الأداء كالنبر والتنغيم و لغة الجسد والحركات المصاحبة للقول، كلها أساسية للتحديد وبناء الفهم المحلي، " فالاحتمال كبير في أن ترتبط عملية الفهم المحلي بخطة مغايرة تتطلب من المتلقي / القارئ ((وقبل ذلك من المتكلم/المرسل)) أن يقلل من عمليات التحليل قدر الإمكان وأن يقتصر على تكوين درجة كافية من التخصيص يسمح له بفهم يتناسب مع ما يرى المتلقي أنه غرض القول"[46]. ولا نقصد هنا بفهم العالم؛ فهم المكان والزمان فقط بل فهم العادات والتقاليد وما ترمي إليه العبارات المستخدمة في مقاماتها، فالأمر هنا كما يقول الجاحظ: وللعرب اشتقاقات وأبنية.

وعلى سبيل المثال فإنك إذا سمعت للمرة الأولى هذه الصيغة: (نعيمًا) عند الحلاق أو بعد الحلاقة، أو قولهم: (دام الله السرور) أثناء الاحتفال بعرسك أو بعده بأيام يسيرة، فقد تقف حائرًا ثم تُتَمْتِم وكأنك قد أجبت، مع أنك لا تعرف الإجابة التبادلية في هذا الموقف، وتخجل أن تجيب بصوت مرتفع لأنك تعلم أن لهذه الصيغة والموقف جوابًا تبادليًّا معروفًا، ولكنك لم تعرفه حتى تلك اللحظة، ومن ثم فأنت لا تعرف نمط ردة الفعل المناسب، أما وقد عرفت الصيغة وما يقابلها من صيغة تبادلية فستكون أكثر ثقة بنفسك وبنمط الصيغة التي ستوجه إليك في ذلك الموقف، أي أنك صرت تتوقعها، " وكلما كان النمط أكثر تحديدًا وارتباطًا بطقوس معينة زادت قدرتنا على التعرف على القواعد المتعارف عليها"[47]. والتمتمة لِتُوهِم بأنك قد تفاعلت مع المتكلم بنمطية مجتمعية مقامية دليل على اعتناء المجتمع بهذا اللون من التفاعل.

ثانيا. آلية فعل التأويل:

يبدأ فعل التأويل في التفاعلات اللغوية – أيًّا كانت- منذ اللحظة الأولى لبناء الخطاب وتشكيله في عبارة وتضمينه في السياق الخاص به، ذلك أن مرسل العبارة/ الرسالة اللغوية أو التعبيرية إنما أرسلها لتؤدي رسالة لخطاب يريده، ومن ثم فإن المرسل عنصر فاعل في التأويل، كما أن المتلقي، وهو الطرف المستقبل للرسالة والموجه إليه

الخطاب، يبدأ فعل التأويل عنده لحظة تلقيه للرسالة إلا إن كان قد تعمد تجاهلها، فإن التجاهل في هذه اللحظة صورة من صور التفاعل مع الرسالة وقد تم التجاهل بناء على تأويله لها، وهذه العملية قد تتم في زمن لا يمكن احتسابه بالثواني نظرا للسرعة في التلقي والتأويل ذلك أن كل لفظة / لغة حكاية من حيث إنها فكرة عاقلة أو طائشة تجد مكانها في الموقع المحدد لها سلفًا في الدماغ[48]. وإذا كان " إدراك كل نص ((بوصفه التسجيل اللفظي للحدث التواصلي)) وتأويله عملا ذاتيًّا أساسًا"[49] فإن تأويل نصوص المحادثات له اشتراطاته لا سيما فهم اللغة والفهم المشترك...الخ، أما في تأويل المسكوكات ونظرًا لأنها عملية اجتماعية متوقعة في سياقاتها فإن عملية تأويل نصوص المسكوكات مقننة سلفًا لدى المجتمع ولا مجال للتأويل الفردي، لا سيما المسكوكات الحقوقية والملزمة، أما في التهاني والتحايا فالتأويل يبدأ عند الفقد، إذ تتكون مع الفقد فرصة للتأويل الذاتي الفردي..

فعل التأويل في مسكوكات التفاعلات: (التحية، التهاني، التعزية، الضيافة)

يبدو فعل التأويل في مسكوكات التهاني والتفاعلات اليومية غير الحقوقية (تلك التي لا يتبعها التزام بفعل ما) ساذجًا، ولا يظهر أي أثر لفاعلية التأويل هنا - في التحية والتهنئة والتعازي- إلا في حال الفقد (أي في حال فَقْد المتلقي المفترض من المرسل المفترض تلك المسكوكات في مقامها)، ومن هنا فالتأويل يعتمد على فاعلية الفقد وليس على فاعلية الوجود/ التلفظ كما هو الحال في المسكوكات الحقوقية. وعلى سبيل المثال فإلقاء التحية: (السلام عليكم ورحمة الله).... قد يكون مجرد تقليد وعادة، ولكن إذا لم يلقها الداخل إلى المجلس فإن الأمر يتطلب التساؤل وإن لم يتم التصريح بالتساؤل من المتلقين، لأيّ سببٍ كان، ومن ثم يكون الصمت –هنا- ذا دلالة قصدية، ما لم يكن عدم إلقاء التحية عادة معروفة عند هذا الشخص، وهذا السلوك الشخصي لمن عُرِفَ عنه أنه لا يلقي التحية لا يدخل ضمن النقاش/ البحث لأنه لا يمثل حالة مجتمعية تكون ظاهرة. كما قد يكون التلفظ بها- أي بالسلام عليكم- في سياق المنتديات الحوارية والحجاجية (المحاضر القبلية)[50] علامة على الرفض والخروج من المفاوضات على خصام.

وهذا يشير إلى الميل إلى العفوية في التهاني والتحايا، العفوية في الأداء لحظة التلفظ اللغوي مما يدل على عدم وجود قصدية معنوية بلاغية، وأنها ليست إلا تمثُّلًا

لمتطلبات السلوك الاجتماعي فقط. ومن ثم لم يعد ينظر إليها على أنها دعاء بل على أنها تقاليد وطقوس، فلربما كان من المزعج أن تُسَلِّم (أي تصافحها في العيد) على أختك في العيد دون أن تقول لك: (عادكم الله كل عيد)، وبعض الأدعية الأخرى، لأن ذلك سيكون بمثابة مؤشر واضح على غفلة أو تقصير أو وجود خلل في العلاقة لم يستطع بلسم المناسبة العيدية أن يلملمه ولو للحظات حتى وإن لم يحدث تعديل لفعل المشاعر. إذًا فعدم التلفظ بها يلفت الانتباه ويجعلها ذات قيمة، ويكون للسكوت في هذا الموقف مغزى دلالي وتداولي، وكأنه قيمة سكونية كامنة لا تظهر إلا إن فُقِدَت... **أي أنها تتميز بغفلة الوجود وفاعلية الفقد**.. فحين توجد الكلمة تكون اعتيادية، وحين تفقد في سياقها تكون ذات فاعلية، ويكون الفقد هو موضع التأويل. وعليه فإن تأويل مسكوكات التفاعلات الكرنفالية واليومية قد أضمر فعل التأويل فيها في سياقها الزمني والمناسباتي، ومن ثم فإن السياق المناسباتي في التهاني والتعازي هو المؤوِل.

ونصوص مسكوكات التهاني - عادة - تقع ضمن/ في الدائرة الافتراضية لطرفي التواصل، وأقول التواصل لأنه ليس حوارًا ولا محادثة ولا نقاشًا، فهذه الأنماط من التواصل ليست مقننة كما هو الحال في التواصل في المناسبات بالمسكوكات، وإنما هو تواصل لفظي وقد يصحبه تواصل جسدي بالمصافحة والمعانقة حسب العادات والعلاقات الشخصية بين الطرفين في سلوك التصافح، وحسب عمر طرفي التواصل وحسب العلاقة الشخصية بينهما من حيث: الحميمية، المجاملة، الصداقة، إسقاط واجب. فالصداقة التي لم تعد تتطلب برتوكولات وكأنها لحميمتها تشبه التقاطع أو اللامبالاة، من حيث عدم الاهتمام الزائد بالصديق اعتمادًا على الثقة بينهما.

ويمكن النظر بهذا الاعتبار إلى مسكوكات التهاني والتعازي ونحوهما أنها تقع في الدائرة الافتراضية وأنها ضمن الحوادث التواصلية المتكررة والمقننة؛ لأن المسكوكات لا تقدم معلومات إلا في حال كانت إخبارًا عن شيء لم يعرفه المتلقي مثل أن تقول لشخص: (عظَّمَ الله أجرَكم) قبل أن يعرف بحدوث وفاة صديق أو قريب له. والدائرة الافتراضية في هذه الدراسة هي: تلك التي يعتبرها المستخدم اللغوي، مُنْجَزَة سلفًا ومُتَوَقَّعة في تلك الحادثة التواصلية. متسمة بالإسهامات التبادلية، أو شبه متوقعة أو هي ضمن المألوف – غالبًا- وإن كان قد يحدث بصورة غير متوقعة أن يكون الترحيب –على سبيل التمثيل-

بصيغة: (مرحب الصوت) وما يتبعها من التزامات. وفي وقائع الحياة فإنَّ هذه النصوص (المسكوكات اللغوية التعبيرية) لا تقدم معلومات بقدر ما تقدم أغراضًا تواصلية في التهاني، أو تحقق أغراضًا تفاعلية مجتمعية في الترحيب والضيافة والمنتديات القبلية، وهي تقدم خدمة حل إشكالات الصراع وضمان الحقوق والضبط والسلم الاجتماعيين في مواقف الصراع. فالأغراض المجتمعية والحقوقية والضبطية ذات سلطة تنفيذية.

فعل التأويل في المسكوكات الحقوقية أو مسكوكات الصراع وحل العقدة:

تتميز المسكوكات الحقوقية والمتعلقة بالصراع وحل العقدة بأنها خطاب ندٍ لندٍ، لكلٍّ منهما إمكانية تحمل المسؤولية المترتبة على التلفظ بتلك العبارات في مواقفها المعروفة اجتماعيًّا، وكأنها بمثابة عقد أُبْرِمَ ولا يجوز نقضه. أو ينبغي أن تكون كذلك. وما يؤكد كونه عقدًا: الطبيعة الإلزامية وفقًا لأعراف المجتمع. ولذا فإنَّ تلفظ الأطفال بها يُعد مبهجًا وطرفة من الطفل ولا يؤخذ مأخذ الجد من المتلقي.

ولما تتمتع به هذه المسكوكات من سلطة فإنها تتطلب فعلًا تداوليًّا ضابطًا لاستخدامها، و يعد التداول مؤسسًا لتراث مشترك، ودالًّا على معايير ثقافية مشتركة بين أفراد الجماعة ، ومن الجماعات ذات نفس التكوين الثقافي.[51] وهذه المسكوكات -لا سيما تلك الحقوقية- بمثابة: " قوانين اجتماعية شبه ملزمة تسن المعايير التي يخضع لها المجتمع"[52] وذلك بالانطلاق من الواقع الذي نستوحيه في هذا المجال من العبارات المسكوكة في نطاق مجتمع محدد هو المجتمع المحلي.... في مضامين/ ودلالات طائفة من المسكوكات التعبيرية. و" يمكننا القول: أن المعرفة التي نملكها -بوصفنا مستعملون لغة ما- عن التفاعل الاجتماعي من طريق اللغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة. هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا؛ لا للخطاب فحسب، بل ربما لكل جوانب خبراتنا الحياتية"[53] ذلك أنه " كما أن اللغة رمزية؛ فإن السلوك الإنساني إنما هو سلوكٌ رمزيٌّ في جوهره ((سلوك رمزي مجتمعي))"[54] فالتأويل في مقام المسكوكات الحقوقية والصراع وحل العقدة يتبعها فعل موجود في السياقات الاجتماعية المحددة لها ضمن دائرة الصراع وحل العقدة، لأنها تستلزم أفعالا وفيها التزامات وواجبات.والتأويل في هذه الحالة هو الذي يسمح للمتلقي/ المتابع باستنتاجات مؤشر سير الصراع[55].ذلك أن هذه العبارات ترد ضمن فعل لغوي مؤسسي وليست اعتباطية ولا محادثاتية[56]، حتى وإن

وردت في سياق الجدل والخصومة. وقد بلغت من صرامتها المؤسسية أن سياقاتها محددة زمانيًّا ومناسباتيًّا أو مقاميًّا[57] و لا يُتَصَوَّر أنها تقال في غير تلك المساقات المؤسساتية[58] إلا إن خرجت عن الغرض المؤسساتي إلى أغراض أخرى كالتهكم أو اللامبالاة[59] وهي سياقات تتسم بالخصوصية بين طرفي التواصل؛ أما حين يكون فعل التواصل ضمن المقام المؤسساتي المؤطِر للمسكوكات، فإن الكلمات محسوبة بعناية فهي استعمال مقنن تلفظًّا ومقامًا والتزامًا بما يجعل استخدام هذه الكلمات ينتقل من الكلام/ التلفظ، إلى الخطاب/ الفعل اللغوي الاجتماعي[60].

وهي عبارات تؤدى ضمن قصدية بلاغية واضحة لا سيما عبارات ملتقيات القبائل لأنها ترتبط بالفعل والالتزام، أو تلك العبارات التي تمثل عقدًا مبرمًا أو بداية عقد يتضمن التزامًا و تحمل مسئولية تجاه الفعل وتجاه الند المقابل كما في المسكوكات المتعلقة بالصراع والحل، إذ تنفتح دلالاتها في لحظة التلفظ بها في المقام الخاص بها ففيها استدعاء لأفعال والتزامات غائبة. وبالنظر في فعل التأويل المحدد سلفًا لهذه المسكوكات الحقوقية ندرك مدى جديتها ونخبويتها، ومن أبرز تلك الصيغ:

العدال: وهو إبلاغ بالقول أو بالفعل ((الفعل الممثل للمسكوكة لا الفعل بمعنى إحداث حدث ما)) بنقل الصراع من الميدان إلى المنتديات ومجالس التفاوض والنقاش، وهو أقرب إلى طلب شخص لآخر إلى العدالة في العرف القبلي، وستكون بعده استجابةٌ ما، وفي العادة يتوَّج بنقاش بين الطرفين بإشراف طرف محايد. وقد يكون الموضوع له أبعاد صراع قوية فيتطلب كتابة الادعاء والردود ليتم عرضها على المحكمين ثم إصدار حكم وفقًا للأعراف القبلية المعمول بها.

كما نفهم فعل (العدال) على أنه إصرار من المتكلم على فتح باب النقاش وبناء مسرح للتوتر مع الطرف الآخر بإشراف السلطة المجتمعية، وهي سلطة تتمتع عرفيًّا بكونها قضائية وتنفيذية، وإن لم يتلفظ المتكلم بأية ألفاظ صريحة، وبهذا العمل ينتقل الصراع من وقائع الحدث إلى وقائع تلفظية تستخدم الحجج وتقدم البراهين.. وحين يقول القائل: هذا/ هذه على فلان، فإنها مفهومة أنها عدال وإن لم ينطق باللفظ نفسه فهذه العبارات والكلمات من مرادفات العدال أو من كناياته. والإشارة هنا في قوله: هذا/ هذه على فلان، إشارة إلى نوعية الشيء المستخدم ليكون عدالا؛ فقد يكون قطعة من السلاح وقد يكون

خنجرا أصيلا (جنبية). برغبته في ابتداء صراع تلفظي ربما قد يتطور إلى صراع في ميادين أخرى.

التحكيم/ محكم: وهو إبلاغ بالقول- بالفعل بالرغبة في إنهاء المشكلة في الاعتراف بحق الآخر فيما يُطالِب به، وفيه إشعار بنجاح فريق المفاوضات إن كان التحكيم قد سبقه تفاوض. و نفهم من التحكيم: الاعتراف بالذنب، نجاح المفاوضات، قوة السلطة المجتمعية[61]، أو الهروب من الصراع التلفظي إن كان يشعر بأنه سيجر عليه تبعات مادية أو معنوية، وقبل هذا فنحن نفهم وجود مشكلة/ توتر وإن لم نسمع أية لفظة تدل عليها، بل إن كلمة/ فعل التحكيم كفيلان باستدعاء هذا الفهم مباشرة. أي فهم أنه توجد مشكلة ما. والتحكيم والعدال وغيرهما من الصيغ والأفعال كأنها سياقات رجولية مجتمعية فلا يعتمد فيها على ثنائية التواصل بل يكون في حضرة منتدى القبيلة أو الأسرة. وقد تكون كلمة التحكيم نتيجة لعملية شاقة من المفاوضات كما قد تكون اختصارًا من أحد الأطراف لتلك العمليات التفاوضية للوصول إلى التحكيم دون المرور بالمفاوضات..

وفي هذا السياق يوجد مصطلح (الحكومة) ويرمز للأداة التي قُدِّمَت للخصم من سلاح أو غيره. وقد يصحب فعل التحكيم بعض الصيغ المقيدة، مثل أن يكون تحكيم قِبَل بكسر القاف وفتح الباء، والبعض يسميه تحكيم جفاف و حين تطلق تدل على التزام الطرف الآخر بتنفيذ حكم المُحَكَّم - مهما كان قاسيًّا- دون أي اعتراض أو تَظَلُّم. لكن لا يعني ذلك حدوث طغيان الكبير في الحكم لأنه في هذه الحالة سَيُعَّد مذمة وعيبًا بين الناس على من أصدر الحكم، وسواء أكان المُحَكَّم هو أحد الطرفين أم شخصًا محايدًا[62] ارتضاه الطرفان.. والنوع الثاني من الحكومة وهو التحكيم على وجه العرف أو السِلْف[63] والعرف أو يقول من قدَّم الحكومة : أنا مُحَكِّم ولي المنهى[64] وفي هذه الحالة يحق له الاعتراض على الحكم إن كان مخالفا للسلف والعرف، ويستنهي لدى من له معرفة بالسلف والعرف، وهناك أطراف قبلية متخصصة في هذا.

مُضَمِّر: وتفهم كناية على أنها امتناع عن طاعة ممثل السلطة.

باذل لك الشريعة: تفهم أيضًا على أنها امتناع عن قبول الدعوى فضلا عن قبول مناقشتها عند شخص ما ورفض الاحتكام إلى النقاش بإشراف سلطة المجتمع المحلي العرفية، كما يفهم منها أيضًا التحدي. و(الشريعة) هنا بمعنى الترافع أمام القضاء الرسمي.

الوجه من الوجه أبيض: وهي صيغة تحذيرية شديدة اللهجة في العرف القَبَلَي، ويلاحظ أنها ذات بنية استعارية وكنائية، إذ لا علاقة مادية للوجه، ولا للون البياض بحكاية الصراع. وقد يقول القائل في موقف خصومة: الوجه من الوجه أبيض فيترتب على هذا القول ما لا تحمد عقباه ما لم يُتَدارك الأمر سريعًا من قبل العقلاء بالتحكيم أو بأخذ العدال وجمع الطرفين للتناقش. ومثل هذه الصيغة في البنية الاستعارية والالتزام قولهم:

وحي لك: والمعنى أن القائل ملتزم التزامًا أدبيًّا وعرفيًّا بأداء حقوق، أو تنفيذ اتفاق ما اتُّفِقَ عليه. وقد يلزم بعدها أمرٌ خطير مثل أن تضمن حياة شخص، سواء أكانت الضمانة لقبيلته أو لنفسه، فقد يحصل نزاع بين طرفين يكون أحدهما قد اقترف جرما ترتب عليه الخوف من لقاء الطرف الآخر في أي مكان، فيمتنع بقبيلته، أو في مكان حصين، ولإنزاله أو إعادته إلى جادة الصواب، وربما لإيصاله إلى مركز الشرطة لتتولى الأمر دون أن يُعتدَى عليه من قبل خصومه، و دون أن يمسه أحد بأذى، فيقوم أحد العقلاء المعروفين بالذهاب إلى هذا الطرف ويضمن له بوجهه أنه لن يصيبه مكروه، وهذا العاقل بدوره يكون قد أخبر الطرف الآخر أنه سيعطي مَن سيذهب إليه وجهه بأنه لن يمسه أحد بمكروه فيقبلون ذلك إن شاءوا، أما إن أبوا فإن هذا الشخص الذي انتدب نفسه للقيام بالمهمة يتخلى عنها، ويقوم بإبلاغ الأطراف بتخليه عن مهمته، وذلك قبل أن يذهب إلى الطرف المتحصن لئلا يكون سببًا في نقض عهد قطعه له ثم عجز عنه. أو أن يكون السبب أنك تَضْمَن أداء دَيْنٍ أو حق دون أن تكتب صكًّا بذلك.

محجور: وهي كلمة تفيد طلب المنع من التصرف من أحد الأطراف لوجود ملابسة في الأرض أو البناء أو الملكية بأي صورة من الصور، وهذه الكلمة تمنع كثيرًا من الخصومات أن تستفحل، ذلك أن المرسل يتلفظ بهذه الكلمة ثم يبلغ الشيخ العرفي بالموضوع لحل إشكالاته، وفي الغالب فأن الطرف المقابل أيضًا يرحب بذلك التصرف إن كان يريد الصلح، لأن هذا التوقف عن التصرف يستوجب أن يلتقي الطرفان للحوار وإنهاء سبب الخلاف، إما على انفراد، أو لدى طرف آخر بعد تقديم/ طرح العدال عند ذلك الطرف المحايد، وبعد العدال وتسليمه للمَحَّكم بينهما فإن ذلك يستلزم مباشرةً الامتناع من الطرفين عن أي تصرف عملي أو لفظي تجاه الآخر، أو في موضع النزاع، وإن حدث شيء من ذلك فإن هذا يعني مضاعفة العقوبة على الطرف الذي ينفرد بالتصرف، أو الطرفين إن تصرفا بعد

أن توافقا على العدال وانتظار رأيه والاجتماع عنده للمحاججة وعرض الأدلة والبراهين، وفي العادة يكون الأمر صلحا أكثر من كونه حكمًا، وإذا كانت القضية شائكة أو يخشى من تطور الصراع فإن الطرف المتوافق عليه يلزم كل طرف بإحضار ((ضمين))[65] عن كل طرف تجاه الإشكال القائم، أو تجاه أي استلزامات يترتب عليها الموقف.

ومع روعة التصرف الذي تثمره هذه الكلمة ((محجور)) إلا أنها في كثير من الأحيان تكون سببًا في تأخير كثير من المشروعات التنموية خصوصًا تلك التي تتطلب مساحات كالمباني والطرقات وغيرها ما لم يكن لدى المسئول حس مرهف يستطيع التعامل من خلاله مع أصحاب المكان لإقناعهم بالفكرة. أما إن كان المسئول يتسم بموت الضمير فقد يكون هو من يوعز لأصحاب الأرض بأن يأتوا لحجر (لمنع) العمل في المشروع، وبذلك يقوم باستثمار رخيص ودنيء في ابتزاز الجهة المسئولة عن تنفيذ المشروع بدعوى أنه يجتهد في إقناع مُلاك الأرض.

قلَّدَك الله: وهي ليست صيغة حقوقية بمعنى أنها لا تلزم بفعل بعدها، لكنها صيغة قسم حقوقية، ولعل كثيرًا من الناس لا يبالي بأن يقسم الأيمان بالله تعالى فإذا قيل له: قلدك الله، تراجع وفكر. وهي صيغة ينظر إليها المجتمع بقدسية على أن التعامل معها بدون مراعاة وتثبت فإنها تجلب الدمار لمن تجرأ عليها.

ثالثا. لمحة تحليلية:

- نلحظ – هنا- أن بعض الصيغ تتكون من لفظة واحدة في الظاهر كالتحكيم أو العدال والتضمير ومن ثم فهي لا تمثل **جملة منطوقة بل جملة مفهومة**، وإن وردت منطوقة صحبها ضمير المتكلم (أنا/ نحن) ولعل غياب التفصيل يكمن في أن التعامل مع هذه المسكوكات يتم في ضوء أنها مفاهيم وأنها مفهومة على أنها كذلك فهي ضمن الموروث المشترك ومن ثم فهي غير غامضة ولا تحتمل اللبس. والتزاماتها العرفية معروفة، ولها مقامتها حسب العرف المحلي؛ أقصد أنه ما دام هناك تحكيم إذن فسيتبعه متابعة للمُحَكَّم بإصدار حكم وأن مقدم التحكيم مستعد على التنفيذ.

- أن المسكوكات الحقوقية عادة تتضمن ضمير المتكلم (أنا) سواء أتم التلفظ به صراحة وجهرًا أم لا، وفي حال سَوْق الحكاية سيقال: هو مُحَكِّم أو: قد حَكَّم. وهي تستخدم في ذلك الموقف فقط أي أنه لن يكون مُحَكِّمًا دائمًا.

- الخبر هنا يؤدي وظيفة الإنشاء؛ إذ لا يروم المرسل من احتجاجه إلى مناقشة رسالته بقدر ما يروم **حمل المتلقي على اعتقادها والتعامل معها كما يريد مرسلها**، ففي الخصومات والجدل وسياق الخصومة يكون سوق البراهين والمبررات والحجج واستدعاء الماضي إلى حاضر المكان أمام الحضور -وهو السائد - للوصول إلى نقطةٍ ما يتغياها المفاوض قد يمثلها العدال أو التحكيم ثم تفويض محكمين، أو التعنت بالقول: باذل لك/ لكم الشريعة، لاسيما إن كان الجدل بخصوص حقوق مادية بين الأقارب أو غيرهم مثل المواريث، الديون، مشاكل تملُّك العقارات.

- مناسبة صيغ المسكوكات الحقوقية **للحجاج والجدل البلاغي والبرهاني**، رغم أن التفاوض قد بُنيَ في ذهن الطرفين **وفق مخططٍ ذهنيٍّ** ما فإن المحادثة في التفاوض لا تضمن سيرها وفق المخطط، ومن ثم فإن الحذر هو السائد في التخاطب لكون الكلمات محمولة على أنها خطاب على محمل الجد، وأي تلفظ استفزازي أثناء المحاججة فإنه يحتسب لصالح الطرف الآخر. أما في التبرير لموقف شخصيٍّ ما مثل التغافل المتعمد عن تقديم التهنئة أو التعزية مما أثار انتباه الطرف الآخر فإن المرسل ينبي خطة افتراضية للنقاش وتوجيه المحادثة وفق خطته، وبما يدعم حججه المقدمة والردود المفترضة والبراهين المقترحة وهكذا، ومن ثم فإن إخراج الخبر عند الطرفين يشتمل على: 1-بنية مسرح افتراضي للنقاش/ للجدل للقضايا البرهانية. 2- خطة بلاغية شاملة للمتكلم لعرض الخطاب بنيَّة إقناع المتلقي/ المتلقين بصدق ما يقوله، وعن طريق تقديم براهين أو مبررات مساعدة للتصديق قد يدخل فيها لغة الجسد وتصوير الموقف ونبرات الصوت والتنغيم، وصولا إلى حمل المستمعين/ المتلقين على إصدار حكم معين، أو القيام بسلوك ما[66].

- تداولية هذه اللازمات اللفظية المسكوكة، فهي تحيل إلى فهم مشترك بين الأطراف المتصارعة وبين الحاضرين في الموقف (المَحْضَر)، فهو سياق له تأويل مقنن سلفًا، والتلفظ بالمسكوكات الحقوقية لا سيما التحكيم في سياق الخصومة لا يخضع لرغبة المرسل في أنه

قد يتنصل من الالتزام بتنفيذ ما يوجبه التلفظ بالمسكوكة في موقفها فيقول أنه لم يكن يقصد ما يفهمه المجتمع من خطاب تحمله رسالة تلك المسكوكة؛ بل يلزمه تنفيذ ما حُكِمَ به عليه مالم يكن في الحكم ظلم صريح فإنه قد يلجأ إلى طرف آخر لينصره في تخفيف الحكم. أما في غير المسكوكات الحقوقية فسيكون من المستهجن أن تقول: عيد مبارك في غير يوم العيد أو الأيام التي تتبعه، إلا إن كان تهكما أو سخرية أو مزاحا ؛ فالتأويل في المسكوكات يقوم على المعنى/ الفهم الدلالة المشتركة للخطاب المستخدم// للكلمات في سياق الخطاب[67]، وعلى التأويل المحدد سلفًا؛ مما يجعلنا نتساءل: **هل الفعل التأويلي مازال موجودًا مادام الأمر أن النتيجة معروفة سلفًا**.

- تتضمن صيغ المسكوكات الإحالة الثقافية المرجعية في التاريخ أو في القرآن، فالتحكيم على سبيل المثال ليس أمرًا حديثًا بل متوارث قدم الجاهلية والعربية.

وبعد هذه الإطلالة الموجزة عن المسكوكات وفعل التأويل يمكن أن نستشف عددًا من السمات التي تتميز بها المسكوكات.

سمات المسكوكات

لعل " أول خاصية للتعبير الشعبي هي أنه حتميٌّ، لأنه يعد المكون الأساسي في حضارات الشعوب. والحضارة ظاهرة اجتماعية ثقافية، ولا يستمر لها وجود ما لم تكن مفصحة عن نفسها من خلال اللغة التي تعد المحرك الأول لكل حضارة ارتبطت بزمان ومكان محددين، ومن ثم فإنها تحتوي على مجموعة من النظم الإرشادية التي يصطلح عليها الناس فيما يختص بكل وجه من وجوه حياتهم. ولا تتجلى حتمية الموروث الشعبي في شيوعه بين الناس ودورانه على الألسن فحسب، بل إنها تتجلى كذلك في استمراريته، وهي خاصية أساسية للتعبير الشعبي، إذ إن الاستمرارية تعني فاعلية الشفرة الحضارية في الوعي الجماعي. ويرتبط بهاتين الخاصيتين للموروث الشعبي خاصية ثالثة طالما تحدث عنها الباحثون وهي شفاهيته. وترتبط الشفاهية كل الارتباط بالأداء الوظيفي للتراث الشعبي في حياة الجماعة.."[68] ومع أن المسكوكات مجهولة المصدر الأول.. وأنها شفهية وستبقى في الواقع شفهية، وإن نقلت كتابة للتوثيق، أو العمل البحثي، أو لأغراض تثبيت الاتفاقات في الصيغ الحقوقية والعقود، فإن هذه المسكوكات، بوصفها نصوصًا، تتمايز عن النصوص الشفهية التفاعلية كرسائل الشكر والمجاملات ورسائل العشاق، أو النصوص التوثيقية

الشعبية كالسير الشعبية ونحوها، تتمايز نصوص المسكوكات عن هذه النصوص فضلا عما سبق بيانه في بداية الدراسة من التفريق بينها وبين النصوص عامة وبينها وبين الأمثال، فإنها تتمايز خطابيًّا بالآتي:

1- المؤسساتية، ذلك أنها مقننة سلفًا. فهي تتساوق مع المقامية، وعدم التحوير، والمقصدية، والحذر في التعامل بها فالاستعمال المقنن للمسكوكات يمنع من تصرف المرسل في الصيغة بالنبر، ومن أن النبر في المسكوكات لا يُنْقَل، إلا أن له دلالة قد تكون تهكمية أو ازدرائية، و قد تحيل التهنئة إلى خصومة. وفي سياق الخصومة والجدل لو عبَّر المرسل بلفظ التحكيم مصحوبًا بنبر يمكن تأويله بأنه ازدراء فإن هذا يُعَدُّ جرمًا أشنع من جرم الذنب الذي يدور حوله الخصام والاحتجاج.. وكونها محددة المواقف، وأن تأويلها يسبق التلفظ بها إلا في حالة الفقد، كل ذلك يجعلها تنتمي إلى الفعل اللغوي المؤسسي.

2- الاطراد، " والاطراد في الخطاب هو: توافر ظاهرة لغوية معينة بدرجة كبيرة من التردد في سياق يمكن تحديده"[69]. فالتحكيم -على سبيل المثال- لا يكون بأن يقول المحكِّم: أنا آسف، أو: أنا أعتذر: أو أسحب كلامي، بل يقول: محكِّم، أو يقوم بتقديم الحكومة ويقول لخصمه هذه لك أي هذه حكومتك تحكيم مني لك ورد اعتبار واعتذار. وقول÷ هذه لك لا يعني أنه سيهب تلك القطعة من السلاح أو الخنجر للطرف الآخر بل تفهم على أنها حكومة وتعاد إلى صاحبها بعد حل الإشكال.

3- النخبوية، بمعنى أنها تصدر من ذوي الكفاية لا سيما ما يتعلق منها بالحقوق والصراع وحل العقدة. والدليل على أنها نخبوية ما يتصل بها من الحقوق والواجبات، والوعي التام بالموقف، وأيضًا أنه لو تلفظ بها الأطفال فإنها تكون في محل الطرافة فقط. وأيضًا أن المرأة لا تتدخل في هذه النصوص مع أنها قد تكون المسبب الرئيسي للصراع الموجب الوصول إلى تلك التلفظات لمسكوكة الحقوقية.. أما في التهاني فالمرأة مخولة بالتلفظ بنصوص مسكوكاتها ولها ألفاظها الأنثوية غالبا. ولا يعني أنها أنثوية أن الصيغة توحي بالأنوثة ولكن العرف أن صيغًا معينة تقولها الأنثى ولا يقولها الرجل، فالمرأة تقول لزائرها من محارمها الرجال: (عادك كل عيد)، ولا يقولها الرجل لنظيره ولا يقولها للمرأة. وهذه السمة النخبوية قد تجعلنا نميل إلى تفسير أسطوري للطقوسية التي تصاحب التحكيم والمنتديات القبلية

وما قد يكون فيها من تقديم الذبائح تعبيرًا عن الاعتراف بالذنب، أو للتأديب، أو على أنها جزء من الحقوق التي يجب على الطرف الآخر تسليمها لخصمه.

4- الأداء الطقوسي والبعد الأسطوري، في اتسام نصوص المسكوكات الحقوقية ومسكوكات الجدل بالنخبوية والمقامات ما يجعلنا نميل إلى تفسير أسطوري لبعض مدلولات هذه المسكوكات وتوارثها لا سيما أنه يصحب بعضها تقديم الذبائح استرضاءً للخصم، وإنهاءً للتوتر، ووصولا إلى حل العقدة. ومما يؤكد هذا التفسير ذلك الأداء الطقوسي المصاحب لفعل التحكيم باعتباره أكثر فعل لغوي ملزم في إطار حكاية الصراع وحل العقدة. وعلى الرغم من أن المجتمع يتعامل معها على أنها عملية تقليدية وليست طقوسية ولا شعائرية إلا أن الطقوسية ظاهرة للعيان منذ البداية لكنها تكون أكثر ظهورًا ووضوحًا عند التنفيذ، من خلال التالي:

أ- أداء شعائري رمزي بإحضار القربان (من الأنعام) حسب الحكم تمثلا للسلوك الاجتماعي، ورمزا للاعتراف بالذنب وغسلًا لهذا الذنب، ومحوًا له، سواء أذُبِح القربان أم لم يُذبح وذلك إذا تفضَّل من يُقدَّم له التحكيم/ الاعتذار العرفي، بالعفو.... فالمهم أن يتم إعلان قبول الاستقبال وقبول ما جاء به المحكِّمون وأنه كافٍ ووافٍ يفي بما كان سببًا له ويكون الاستقبال من مجموعة من الاقارب والصدقاء ويقوم أحدهم بالترحيب بالقادمين إليهم بالحكومة وينوه بأصالتهم وبما يتحلون به من الأخوة وحسن الجوار وأن هذه أعراف القبائل.. وقد يكون القربان باسم (الهَجَر) وهو بنفس صيغة التحكيم وفعله؛ من حيث تقديم قطعة سلاح ويتبع ذلك تقديم حيوان من النعام (البقر) حسب العرف والجرم ويكون الهجر عن إحداث مشكلة في مكان عام مثل السوق أو المنازل أو المساجد، وبهذا تكون الحكومة للحوادث المتعلقة بالأفراد، والهجر لما يتعلق بالماكن العامة.

ب- وجود فريقين، فريق مع كل طرف. فكل طرف يأتي معه أشخاص يتم دعوتهم لهذا الغرض ويأتون على نيَّة إنهاء المشكلة / الصراع سواء أكانت نهاية سعيدة بالتراضي، أم غير سعيدة تمامًا بإشعار الآخر أنه أُرْغِم على التحكيم، وفي كل الأحوال فالتحكيم إنهاء للصراع. والطقوسية المصاحبة من حيث تشكل فريقين متواجهين في نصف دائرة لكل فريق أو في سطرين متقابلين حسب المكان وعدد الأشخاص، فإن ذلك رمزية واضحة للتباين والصراع والتكتل. كما أن كل فريق يدعو من يتجمهر معه أثناء مراسيم الحضور والاستقبال.

ج- الأداء الطقوسي/ الشعائري اللغوي، ويظهر في:

- اللغة المُتَلَفَّظ بها، وهي وإن لم تكن كلها طقوسية فإنها محسوبة ومراقبة مجتمعيًّا من الحضور، وكل ما يتم التلفظ به قد يكون محسوبًا ضمن احتساب درجات البطل في تحقيق إنهاء الإشكال أو تحقيق انتصاره على خصمه بإرغامه على الاعتراف، وقد يكون سببًا في خسارته أمام خصم ساكت يتكلم بقصدية واتزان.
- أداء طقوسي صوتي، إذ يتم تأدية الخطاب بطريقة فيها نبر صوت/ تنغيم صوتي مغاير عما لو كان الأمر مجرد نقل للخبر. أما الأداء الطقوسي المصاحب للتهاني فيعتمد على التلفظ والحركة في بعض الحالات كالمصافحة، إلا أن الأداء الصوتي غير مميز كما هو الحال في الطقوس المصاحبة للتحكيم والمنتديات القبلية.

قائمة المراجع:

- البخاري.
- بريان باري، **الثقافة والمساواة، نقد مساواتي للتعددية الثقافية**، ترجمة: كمال المصري، عالم المعرفة، 383، ديسمبر 2011م، 169
- ج. ب. بروان، و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق: د محمد لطفي الزليطني، و د. منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، 1997م، 1
- الجاحظ، **الحيوان**،
- جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر ، بيروت، ط3 1414هـ، مذيل بحواشي اليازجي، مادة: (سك) ج10/ 439
- جيمس تريفيل، **لماذا العلم**، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة ، 372، فبراير 2010م، 43
- سعيد يقطين، **الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، ط1، 1997م، 185
- عائشة الدرمكي، **سيميائيات النص الشفاهي في عمان**، كتاب نزوى، الإصدار 18، أبريل، 2013م، 13
- فضل علي أحمد أبو غانم، **البنية القبلية في اليمن بين الاستمرار والتغير**، مطبعة الكاتب العربي، 1985م. 11

- الميداني، **مجمع الأمثال**.
- نبيلة إبراهيم، **بلاغة التوصيل في التعبير الشعبي**، مجلة الثقافة الشعبية، المنامة، البحرين، عدد20 شتاء 2013م، 47
- وسيلة بروقي، **الزواج الداخلي من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية**، مجلة ثقافات، علمية محكمة، كلية الآداب ، جامعة البحرين، العدد21، 2008م.

الهوامش:

- [1] هذه المسكوكات ليست مقتصرة على محافظة صنعاء من حيث تعامل الناس بها، ولكن الحدود الجغرافية للبحث اقتضت تعيين نطاق محدد.
- [2] النقى والعيب مفهومان يتعلقان بقضايا الصراع والثأر بين القبائل، ومفهوم (النقى/ النقاء) كما يعرفه مؤلف كتاب نظرية العقوبة في الشريعة والأعراف القبيلة يقصد به: اختيار العقوبة المناسبة لنوع الجناية حسب العرف وهو أقرب إلى الامتثال للاقتصاص دون اعتراض. (ص179-179) أما مفهوم (العيب) فيرادفه في اللغة وفي العرف معنى الغدر، سيما إن حدث بعد توقيع صلح، أو اعتداء يخالف الأعراف كالاعتداء على الحريم والمستأمن ونحو ذلك.(ص 187)
- [3] جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر ، بيروت، ط3 1414هـ، مذيل بحواشي اليازجي، مادة: (سك) ج10/ 439
- [4] في البخاري: **حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال حدثني مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله : أن أبا مرة مولى أم هانىء بنت أبي طالب أخبره أنه سمع أم هانىء بنت أبي طالب تقول ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره قالت فسلمت عليه فقال (من هذه) . فقلت أنا أم هانىء بنت أبي طالب فقال (مرحبا بأم هانىء) . فلما فرغ من غسله . قام فصلى ثاني ركعات ملتحفا في ثوب واحد فلما انصرف قلت يا رسول الله زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته فلان بن هبيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء) . قالت أم هانىء وذاك ضحى**
- [5] في مجمع الأمثال للميداني: قولهم: كالْكَبْشِ يَحْمِلُ شَفْرَةً وَزِنَاداً. يضرب لمن يتعرَّض للهَلاكِ وأصله أن كسرى بن قُبَاذ مَلَّك عمرو بن هند الملكَ الحيرةَ وما يلي مُلكَ فارسٍ من أرض العرب، فكان شديد السلطان والبطش، وكانت العرب تسميه "مُضَرِّطَ الحجارة" فبلغ من ضبطه الناس وقهره لهم واقتداه في نفسه علمهم أن سَنَةً اشْتدَّت على الناس حتى بلغت بهم كلَّ مبلغ من الجهد

والشدة، فعمد إلى كبش فَسمَّنه حتى إذا امتلأ سمناً علَّقَ في عنقه شَفْرة وزِناداً ثم سَرَّحه في الناس لينظر هل يجترئ أحد على ذبحه فلم يتعرض له أحد، حتَّى مرَّ ببني يَشْكر، [ص:144] فَقَال رجل منهم يُقَال له" عِلْبَاء بن أرقَمَ اليَشْكَرِي" ما أراني إلا آخذ هذا الكبش فآكله، فَلاَمَهُ أصحابه، فأبى إلا ذِبْحه، فذكروا ذلك لشيخ له، فَقَال: إنكَ لا تعدم الضار، ولكن تعدم النافع، فأرسلها مَثَلاً، وقَال قائل آخر منهم: إنك كائن كقُدَار على إرم، فأرسلها مَثَلاً، ولما كثرت اللائمة قَال: فإني أذبحُه ثم آتى الملك فواضع يدي في يَدِهِ ومُعْتَرِف له بذنبي، فإن عفَا عني فأَهْلُ ذلك هو، وإن كانت منه عقوبة كانت بي ودونكم، فذبحه وأكله، ثم أتى الملك عمرو بن هند، فَقَال له: أَبيتَ اللَّعنَ، وأسْعَدكَ إلهُكَ، ياخير الملوك إني أَذْنبْتُ ذنبا عظيما إليك، وعفوك أعظم منه، قَال: وما ذنبك؟ قَال: إنك بَلَوتَنا بكبش سَرَّحْتُه ونحن مَجْهُودون، فأكلْته، قَال: أو فعلت؟ قَال نعَم، قَال: إذن أقتلك، قَال: مليك شَيءٍ حكمه، فأرسلها مَثَلاً، ثم أنشده قصيدةً في تلك الخطة، فخَلَّى عنه، فجعلت العرب ذلك الكبش مَثَلاً.

– [6]فمثلا لازمة (خبور) ثم الرد عليها بـ(خبور خير) لازمة لا يستطيع أي فرد من أبناء محافظة المهرة أن يتجاوزها إلقاء أو ردا وإذا لم يُخَابَر من قبل الجالسين بقولهم له ساعة ولحظة سلم عليهم أو بعدها بلحظات يسيرة (خبور) فإنه قد يبقى وقد يترك اللقاء أو البقاء معهم إلا أن المهم أنه لن يحدثهم بما كان قد جاء لأجله وربما تحمل المشاق ليصل إليهم ليخبرهم بخبر ما ذو أهمية خاصة. ومع دخول وسائل الاتصال الحديثة وشيوع هذه الوسائل إلا أنك ما إن تسلم على أحد أبناء المهرة إلا ويرد السلام وبعض اللازمات اللفظية الأخرى مثل كيف الحال كيف أمورك ثم لن ينسى أن يقول لك خبور وعليك أن ترد لزاما خبور خير ثم أنت وشأنك فقد تكون الأخبار التي تحملها ليس فيها من الخير الظاهر شيئا، وهو صورة من التفاؤل الحسن بقول المسئول (أي الذي سئل) خبور خير. ولكن هل يدرك المتكلم أنه يتفاءل أم لا؟ وأعتقد أن لازمة خبور في محافظة المهرة وما يتبعها من السؤال عن الأولاد والأهل قد احتفظت بنكهتها ووقتها لاحتفاظ المنطقة بخصوصيتها اللغوية المتمثلة في لغتهم/ لهجتهم الخاصة، وأيضا في طبيعة البلادة الشاسعة التباعد المترامية الأطراف ذات الطبيعة الصحراوية أو قول آخرون في دول عربية بعد الصلاة حرما فيقال لك جمعا، وهكذا.

– [7]ربما التحية والمجاملات تدخل ضمن هذا.

– [8]عائشة الدرمكي، **سيميائيات النص الشفاهي في عمان**، كتاب نزوى، الإصدار 18، أبريل، 2013م، 151

- [9]سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 13
- [10]سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 77
- [11]ينظر: جيمس تريفيل، **لماذا العلم**، ترجمة: شوقي جلال، عالم المعرفة ، 372، فبراير 2010م، 43
- [12]سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 15
- [13]والتأويل والإبلاغ باستمرار في التحكيم وغيره أو في حال فاعلية الفقد في التحية والتهاني. ينظر ص من هذه الدراسة.
- [14]ينظر: سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 22
- [15]في لسان العرب ن دلالات مادة (ضمر) **والضمار من المال الذي لا يرجى رجوعه والضمار من العدات ما كان عن تسويف الجوهري الضمار ما لا يرجى من الدين والوعد وكل ما لا تكون منه على ثقة.**
- [16]لكثير من الألفاظ والتعبيرات دلالات شرعية وقانونية مثل: صيغ البيوع، وصيغ التأجير، وصيغ الطلاق، والنكاح والظهار، بل إن الدخول إلى الإسلام يبدأ بصيغة لفظية، والخروج منه قد يكون أيضا بصيغة لفظية. وهذه صيغ يترتب عليها فعل أو التزام. وثمة صيغ أخرى لحوادث تواصلية ، مثل: التحية، تشميت العاطس، التهنئة بالمولود، التهنئة بالتعريس. وهذه الأخيرة ونحوها لا تتضمن حقوقا مادية أو فعلية بقدر ما هي حقوق معنوية ضمن إنشاء مجتمع متماسك له رؤية وقواسم مشتركة.
- [17]ج. ب. براون، و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق: د محمد لطفي الزليطني، و د. منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، 1997م ، 29
- [18]ينظر: سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 103
- [19]من التحديد الزماني ما يتعلق بتحية الصباح والمساء، ومن التحديد المناسباتي ما يتعلق بالأعياد والأعراس والوفيات، ومن تحديد المقامات ما يتعلق: بالمنتديات القبلية، والمنتديات الخاصة بحل مشكلات المجتمع والأفراد.
- [20]المساقات: المجالات الموضوعية والمضمونية لاستخدام المسكوكات مجال: التهاني، التعازي،، مجال حل مشاكل الصراع ..الخ.

- [21]الخروج عن الغرض المؤسساتي الأصلي أيضا هو سلوك لغوي مؤسسي فله تداوليته، إلا أنه ذو طبيعة خاصة كونه أكثر ثنائية بين طرفي الحادثة التواصلية. ولها تصنيفها في التأويل البلاغي.
- [22]هنا أجعل الخطاب رديفا للفعل الاجتماعي المقابل للتلفظ بصيغة ما في موقف ما من مواقفها العرفية، ذلك أن الخطاب هو الناتج المروم من الرسالة عموما والفعل أو الالتزام هو الغرض المراد من التلفظ بصيغة تناسب ذلك الموقف عرفيا. فهو ليس مجرد تلفظ بل هو تمثيل لفعل يتبع التلفظ وهذا في الصيغ الحقوقية بما فيها الزواج والطلاق والبيوع وتمثيلات الصراع.
- [23] ((وكأنها تحويل للكلام إلى فعل أو القول يرادف العمل والعكس، فقولك: مُحَكِّم، يعني أنك ملزم بالتحكيم والحكومة وستقدم رمزا على ذلك يسمى الحكومة وهو قطعة سلاح او خنجرا تقليدا غالي الثمن، وقد لا تتلفظ وتكتفي بأن تمد يدك بالحكومة مباشرة فيفهم منها أنك محكم))
- [24]ينظر: تحليل الخطاب، 173
- [25]ينظر: فضل علي أحمد أبو غانم، **البنية القبلية في اليمن بين الاستمراروالتغير**، مطبعة الكاتب العربي، 1985م. 11
- [26]الواو في جملة (وحاج وعروس) ليست للعطف بل هكذا تقال العبارة.
- [27]في الحديث: ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم..
- [28]ومن الناحية الشرعية في الأثر: وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.
- [29]نحت من قولهم: كيف أصبحتم. ومثلها : كمسيتو نحت من: كيف أمسيتم.
- [30]الزامل، رجز يردد جماعيا، ويكون قصيرا جدا بيتان أو ثلاثة.
- [31]تحليل الخطاب، 1
- [32]ينظر: تحليل الخطاب، 2
- [33]ينظر: تحليل الخطاب، 4
- [34]سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 151
- [35]الثقافة والمساواة، نقد مساواتي للتعددية الثقافية، بريان باري، ترجمة: كمال المصري، عالم المعرفة، 383، ديسمبر 2011م، 169

- [36] سعيد يقطين، **الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، ط1، 1997م، 185
- [37] الكلام والخبر، 136
- [38] ينظر: الكلام والخبر ، 133
- [39] ينظر: الكلام والخبر، .89
- [40] يمكن الاستشهاد في هذا السياق بالزوامل التي أنتجت وانتشرت أثناء الحرب في اليمن بين الحوثيين ومناهضيهم ودورها الرئيس في التحفيز.
- [41] الكلام والخبر، 136
- [42] سميائيات النص الشفاهي في عمان، 21
- [43] نبيلة إبراهيم، **بلاغة التوصيل في التعبير الشعبي**، مجلة الثقافة الشعبية، المنامة، البحرين، عدد20 شتاء 2013م، 47
- [44] سيميائيات الخطاب الشفاهي في عمان، 125
- [45] ج. ب. براون، و ج. يول، **تحليل الخطاب**، ترجمة وتعليق: د محمد لطفي الزليطني، و د. منير التريكي، نشر جامعة الملك سعود، 1997م، 1
- [46] تحليل الخطاب، 73
- [47] تحليل الخطاب، 76
- [48] ينظر: سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 81
- [49] تحليل الخطاب، 14
- [50] محاضر جمع محضر، والمحضر هو اللقاء المخصص لنقاش خصومة أو قضية أسرية أو قضية عامة.
- [51] ينظر: وسيلة بروقي، **الزواج الداخلي من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية**، مجلة ثقافات، علمية محكمة، كلية الآداب ، جامعة البحرين، العدد21، 2008م، 155
- [52] الزواج الداخلي من خلال المثال الشعبية الجزائرية ، 155
- [53] تحليل الخطاب، 279

- [54] سيميائيات النص الشفاهي في عمان، 81
- [55] ينظر: سميائيات النص الشفاهي في عمان، 84
- [56] المحادثات رغم أنها سلوك واضح المعالم غالبا إلا أنه غير مقننة بألفاظ محددة كما هو الحال في مسكوكات التفاعلات اليومية أو ذات البعد الحقوقي وحل الصراع. وليست مفضية بالضرورة إلى التزامات كما هو الحال في المسكوكات المتعلقة بالصراع وحل العقدة والحقوق.
- [57] من التحديد الزماني ما يتعلق بتحية الصباح والمساء، ومن التحديد المناسباتي ما يتعلق بالأعياد والأعراس والوفيات، ومن تحديد المقامات ما يتعلق: بالمنتديات القبلية، والمنتديات الخاصة بحل مشكلات المجتمع والأفراد.
- [58] المساقات: المجالات الموضوعية والمضمونية لاستخدام المسكوكات مجال: التهاني، مجال حل مشاكل الصراع ..الخ.
- [59] الخروج عن الغرض المؤسساتي الأصلي أيضا هو سلوك لغوي مؤسسي فله تداوليته، إلا أنه ذو طبيعة خاصة كونه أكثر ثنائية بين طرفي الحادثة التواصلية. ولها تصنيفها في التأويل البلاغي.
- [60] هنا أجعل الخطاب رديفا للفعل الاجتماعي المقابل للتلفظ بصيغة ما في موقف ما من مواقفها العرفية، ذلك أن الخطاب هو الناتج المروم من الرسالة عموما والفعل أو الالتزام هو الغرض المراد من التلفظ بصيغة تناسب ذلك الموقف عرفيا. فهو ليس مجرد تلفظ بل هو تمثيل لفعل يتبع التلفظ وهذا في الصيغ الحقوقية بما فيها الزواج والطلاق والبيوع وتمثيلات الصراع.
- [61] قد تلزم السلطة العرفية في المجتمع احد الأطراف على التحكيم والانصياع إذا رأت منه تمنعًا أو إيذاء ينبغي درؤه.
- [62] حين تقدم الحكومة لأحد الطراف فمن حقه أن يقوم بإصدار الحكم بعد مراجعة الأعراف أو استشارة خبير في العرف المحلي، وقد يذهب إلى أحد الخبراء ويعلمه بالتفاصيل فيقوم المستشار بإصدار الحكم ويقدمه مكتوبا، وغالبا يكون هذا في قضايا جسيمة.
- [63] السلف بكسر السين وسكون اللام أكثر خصوصية من العرف فقد يكون العرف إطارا عاما لكن تنفيذه يكون وفقا لأسلاف تعارفت عليها القرية أو القبيلة .

- [64] المنهى يشبه صيغة الاستئناف في المحاكم الرسمية، ويقصد به أنه يقول أن من حقه عرض الحكم على طرف آخر لمراجعته ونقضه وتخفيفه إن كان يرى فيه إجحافًا، وهو يقول هذا قبل أن يصدر الحكم وحينها يكون المحكَّم حذرًا فلا يصدر حكمه إلا بتروٍ ومشورة عرفية.
- [65] شخص معتبر يختاره طرف من أطراف الصراع ويبلغ باختياره لهذه المهمة فإن وافق فإنه قد يتحمل أي تبعات مادية أو قضائية طلبت ممن ضمن عليه، ويقوم الطرف الآخر بنفس التصرف.
- [66] ينظر: تحليل الخطاب، 173
- [67] ينظر: تحليل الخطاب، 40
- [68] بلاغة التوصيل في التعبير الشعبي، نبيلة إبراهيم، 47
- [69] ينظر: تحليل الخطاب ، 28